وزارة التعليم العــالي والبحث العلمــي
جـــــامعة الجـــزائـــــر
كليــة العلوم الاجتماعية والإنسانية
قـــســـــم : الفلسفـــــــة
تخصـــــــص : فلسفـــــــة عربية معــاصرة

إشكـــــالية المنهـــج فـــي فكــر زكـــــي نجيـب محمـــود

مذكــــــــــــرة لنيـــــل شهـــــادة المـــاجستيـــــــر

إعداد الطـالبـــــة
زينـــب بــومهــدي

إشـــراف الأستـــــاذ
الدكتور:الأخضر شريــط

السنـــة الدراسيـــة 2004- 2005

المــــــقدمــة :

لقد وجه جل المفكريــن العرب المعــاصرين إهتمامهم إلى الــنهضة العـربية الحديثة وما شهدته من إخـفــاقـات ، وراحـو يفكــرون في كيـفية الخروج من تـلك الإخـفــاقـات ، فإنقسمـوا إلــى إتجــاهين . بعضهم رأى أن الحــل يكمن في العــودة إلــى الــعصور التي ســبقــتــه أو بعــبارة أوضــح الـعـــودة إلــى تـراثــنـا ، وثـقــافتــنـا الموروثـــة نتـــفحــصهــا علنا نجد فيها ما يســاعدنا على الإنطلاق نحو التقدم . أو ربــما نجد في تراثنا المجيد مـا يـعيــد شحــن تــلك النهـضة التي بدأت مع النــصف الثــاني من القرن التــاسع عشـــر ، ولــم يكتب لها النــجاح .

وفي مقابل هذا كــان هنــاك إتجــاه آخــر أو رأي ثــاني نــظر المشـكلة نظرة مغايرة أو إن صــح الــقول نــظرة منــاقضـــة ، لنـظرة الإتجاه الأول . فــأعتبر أن مــسألة الـدخول في الــحداثة لا تــكون ولن تــكون
بالعـودة إلى ما مضى ، بل تـكون بــإستكـشاف وإستحـداث البديل ، وهذا البــديل الـذي من خـلالــه يـمكـن الدخــول في الحـداثة ، وبـلوغ ما بــلـغته الـدول المـتقدمة ، هو التــوجه إلــى عـلوم الغــرب ، وثـقـافة الآخر المتقدم

ولقد كــان زكــي نـجيب محـمود واحدًا من هؤلاء الــذين وجــهـوا عيــونــهم صــوب هـذا الفـكر – الفـكر الأوربي – وصـب هذه الحضارة ورأى كغــيره من هــؤلاء أنــه لا فــكرســواه ، فكانـت لـه أرائه الـخــاصة في كيفية الدخول فــي الحـداثة .

ولقد وقع اختياري على فكر زكي نجيب محمود الفلسفي ، باعتباره واحدا من هؤلاء الذين أسهموا بفكرهم ، في محاولة إيجاد طريق للنهضة المنشودة غير أن اختياري هذا انحصر في نقطة محددة ، تمثلت في إشكالية المنهج في فكر زكي نجيب محمود .

ولمـا كـان موضوع بحثي هـذا هـو**إشـكالية المنهج في فـكر زكـي نجيب محمـــود** ، كـان علي أولاً بالبحث في كـلمة منـهج ومعـرفة معنى هذه الكلمة ، فـما المقصود بالمنهج أو بكـلمة منــهج ؟ ، ومـاهي أهـم منــاهج البحث العـلمي ؟ وبمـا أن المنـهج الوضـعي المنـطقي أحد هـذه المنـاهج ، فمـا هي أســس هـذا المنـهج ؟ ومـا هي تطـبيقاته في فــكر زكـي نجيــب محمود بإعـتبـاره نصـير الوضـعية المنطقية ؟ . أو كـيف طبق زكـي نجيب محمـود هـذا المنهج ؟ ومـا هو أثــر هذا المنـــهج علــى دراسـات زكـي نجيب محمود؟.

وكـان سبب اختياري لهذا الموضـوع ، ولـهذه الإشكالية بالذات هو التزام زكي نجيـب محمود بالمذهب الوضعي المنطقي الذي لم يلق الاهتمام الكبير من قبل مفكرينا وباحثينا ، على عكس ماهو معروف في الاتجاهات الفلسفية الأخرى ، وكذلك مسألة أخرى كانت سببا في اختياري لهذا الموضوع قصد البحث ، ألا وهي مسألة التراث التي عرفت ولازالت تعرف اهتماما كبيرا في وقتنا الراهن ، من طرف مفكرينا .

ولقد رأيت أن هذا الموضوع يمكن تقسيمه إلى ثلاث فصول كانت على النحو التالي .

الفصل الأول :

هذا الفصل كان تحت عنوان **مفاهيم في المنهج** فتناولت فيه مفهوم المنهج وما تحمله هذه الكلمة من دلالات ومعاني ، ثم انتقلت إلى دراسة الأصل التاريخي لهذه الكلمة ، وذلك عبر العصور ، وبعدها استعرضت أهم مناهج البحث العلمي .

الفصل الثاني :

أما هذا الفصل فخصصته لدراسة أسس المنهج الوضعي المنطقي وتطبيقاته عند زكي نجيب محمود ، وهذا الفصل بدوره قسمته إلى جزأين. في الأول درست أسس المنهج الوضعي المنطقي ، وبينت كيف أن مهمة الفلسفة عند أصحاب هذا المذهب هي تحليل . وكيف أن كل العبارات يجب أن تخضع إلى مبدأ التحقق ، وكان من نتائج هذا رفض الميتافيزيقا .

وفي القسم الثاني من هذا الفصل تطرقت إلى تطبيقات هذا المنهج عند زكي نجيب محمود ، وكيف أنه اعتبر الفلسفة تحليل للألفاظ والعبارات وبعد ذلك رفضه لموضوعات الميتافيزيقا ، من موضوعات الجمال والأخلاق على حد سواء .

<u>الفصـــل الثـــالث :</u>

هذا الفصل كان هو الأخير في بحثي هذا ، فجعلته في أثر المنهج الوضعي المنطقي في دراسات زكي نجيب محمود ، فتناولت فيه بالدراسة مسألة التراث ، وكيف نظر إليها هذا الأخير بمنظار المذهب الوضعي المنطقي .
ثم انتقلت إلى مسألة ثانية ، وهي مسـألة اللغة ثم في الأخير درست أو تناولت مسألة المنهج الذي يجب إتباعه في البحث و الدراسة ، في نظر زكي نجيب محمود .

وفي الأخير ختمت هذا البحث ، بخاتمة استخلصت فيها النتائج التي ترتبت من هذه الفصول جميعا .

ولقد استخدمت في بحثي هذا المنهج التحليلي بالإضافة إلى المنهج التاريخي ، ففي الفصل الأول استخدمت المنهج التاريخي وذلك من أجل معرفة الأصل التاريخي لمنهج البحث العلمي .

أما في الفصلين الثاني و الثالث فاستعنت بالمنهج التحليلي ، وذلك حتى أتمكن من تحليل و تبسيط بعض المفاهيم . كما اعتمدت كذلك في الفصل الأخير على المنهج المقارن .

ومن بين أكثر الصعوبات التي واجهتني كانت في بداية البحث ، وتتمثل هذه الصعوبة في نقص المصادر و المراجع المتصلة بالموضوع ، أما الصعوبة الأخرى تتعلق بطبيعة الموضوع في حد ذاته وأراء زكي نجيب محمود المتناقضة .

وتكمن أهمية موضوع **إشكالية المنهج في فكر زكي نجيب محمود** في أنه يرى أن المسألة هي مسألة منهج ،و أن الحل هو في تغيير المنهج .

الفصل الأول :

مفاهيم في المنهج

تمهيـــــــــد:

يتطلب البحث في أي مجال من المجالات ، منهج يتبعه الباحث أو الدارس . ولهذا أوْلــى الفلاســفة أهمية كبرى لتحديد المنـــهج المتبع ، ولما كانت العلوم تختلف كـانت المناهج بدورها تختـلف ، ولهذا كان لكـل فرع من هذه العلوم ماينا‌سبه من المناهج .

غير أن الشيء الذي يمكن التأكد منه هو أن كل عصر ساد أو طغى عليه منهج بصفة غالبة ، وهذا راجع إلــى طبيعة التفكير في هذا العصر أو ذاك . ففــي الفلســفة اليونانية كان المنطق الأرسطــي هو المنهج الغــالب في المعرفة، وبقي كذلك في العصــور الوســطى المسيــحية وكذلك الأمر في الفلســـفة الإسـلاميـة ، مع إستـثـنــاءات قليلة . وكان هـذا المنهج – القياس – هو وحده الذي يمكــن من خلاله بلوغ الحقيقة .

ومع الفلسفة الحديثة أصبح للمنهج أهمية بــالغة وهذا ما أكد علـيه فلاســفة المنهج ، ورأو أن الفلســفة بصفة خاصة والمعرفة عمــوما لن يقــوم لها مقام بعد أن عــرفت ركودًا وإنحطاطًا في العصــور الوســطى المسيحية إلاّ إذا غيرت المنــوال أو الطريقة التي يتبعها الباحث في بحثه أو الفيلسوف .

لهذا رأى فلاسفة عصر النهضة والعصر الحديث أنه يجب تغيير النمط ، أو تغيير المنهج ، وهذا ما قام به هؤلاء .

ولكن قبل ذلك علينا بمعرفة ما المقصود بالمنهج ؟ وبعدها علينا بمعرفة كيف تطور المنهج منذ الفلسفة اليونانية إلــى غــاية ظهور علم

المناهج ؟. كيف كان المنهج منذ الفلسفة اليونانية ؟ ثم كيف أصبح في الفلسفة الحديثة وبعدها في الفلسفة المعاصرة ؟ ولكن المنهج ليس واحدًا ، بل المناهج تتعدد غير أنها تعود في حقيقة أمرها إلى صورتين هما الإستدلال أو الإستنباط والإستقراء .

تعـــــــــريف المنهـــج

المنهـج يعنـي الطـريقة المتبعـة أثنـاء البحـث ، وكـلمـة منهـج هـي تـرجمـة للكـلمة الفـرنسيـة Méthode . ولـهذا فهـو طـريقـة فـي التفكيـر ، أو طـريقـة للحصـول علـى نتيجـة فـي البحـث[1] .

ويعـرفه رنيـه ديكـارت* Réne Descartes بقـولـه << أعنـي بـالمنهـج جمـلة مـن القـواعـد السهـلة التطبيـق ، إذا مـا راعـاهـاا لشخـص بدقـة تجعلـه لا يتخـذ شيئـًا خـاطئـًا علـى أنـه صحيـح ، ولا يُضيّع أي جهـد عقـلي ، بـل تجعلـه ينمـي معـرفتـه خطـوة ،خطـوة حتـى يصـل إلـى فهـم صحيـح لكـل الأشيـاء التــي فــي قـدرتـه >>[2]

واصـطـلاح منهـج Méthode مشتـق من الكـلمـة اليـونـانيـة Méthodes ولـه عدة معـاني ، فقـد يشـير إلـى الـوسـائل التـي تستخـدم مـن أجـل الـوصـول إلـى شـيء معيـن ، وقـد يعنـي بشكـل أكثـر بسـاطـة الأسلـوب
المستعمـل لبلـوغ الـهدف كمـا قـد يعنـي أيضـًا الفـروض التـي يقـوم عليـها البحـث عـن المعـرفة.

<< والمنهـج علـى العمـوم هـو الـطريق الواضـح فـي التعبيـر عن شـيء، أو فـي عمـل شـيء ، أو فـي تعلـم شـيء طبقـًا لمبـادئ معينـة ، وبنظـام معيـن ، بغيـة الوصـول إلـى غـايـة معينـة >>[3] .

---

(1) إبـراهيـم بيـومـي مدكـور ، المعجـم الفلسفـي ، صـادر عـن مجـمع اللغـة العربية الهيئة العامة لشـؤون المطـابع الأميـريـة ، 1979 ص 195 .

* رنيـه ديكـارت (1596 – 1650)فيلسوف فرنسي مؤسس المذهب العقلاني في القرن السابع عشر وهو أب الفلسفة الحديثة ، من أهم مؤلفاته مقال عن المنهج ، تأملات في الفلسفة الأولى ،مبـادئ الفلسفـة .

(2) رنيه ديكـارت، مقـال عن المنهج ، تـر: محمود الخضيري طبعة القاهرة ؛ 1968 ص 25 .

(3) مراد وهبـة، المعجم الفلسفي ، ط4؛ الكويت: دار قبـاء للطباعة والنشر ، 1998 ص 673

المنهـج إذن هـو تـلك الوسيـلة المتبعـة لتحقيـق هـدف مـا ، وطريقـة محـددة لتنظيـم النشـاط ، وبالمعنــى الفلسفـي يقصـد بـه طـريقة للمعـرفة .

ويحـرص البـاحثـون علـى تحـديد المنهـج في معـالجة المـواضيـع ، وذلـك قبـل مزاولـة البحـث ، ولا يكـون البحـث العلمـي ولا يقـوم لـه مقـام إلاّ بتوفـر منهـج واضـح يلتزم فيـه البـاحث بتتبـع خطـوات ومـراحـل معينـة << ومنهـج البحـث العلـمي يُعَـرّفُ علـى أنـه سبيـل تقصـي الحقـائق العلميـة ، وإذاعتهـا بيـن النـاس . . . والبحـث العلمـي يستنـد أصـلاً إلـى منهـج ثـابت ومحـدد تحكمـه خطوات تشكـل قـواعده وأصـوله >>[1] .

ويـؤكـد ديكارت علـى أن المنهـج هـو عبـارة عـن قـواعـد مـؤكدة ، وبسيطـة إذا راعـاها الإنسـان ، وكـانت تـلك المراعـاة دقيقـة كـان بـذلـك فـي مـأمـن مـن أن يقـع فـي الخـطـأ أو أن يحسب الخطـأ صـواب[2] .

ويقـدم قـاموس الفلسفـة الـذي أشـرف عليـه "رونـز" أكثـر مـن تعريـف للمنهـج أولهـا أنـه << إجـراء يستخـدم فـي بلـوغ غـاية محـددة >> وثـاني تعـريفـات هـذا القـاموس الفلسفـي هـو << أسـاليب معـروفـة لنـا تستخـدم فـي عمليـة تحصيـل المعـرفة الخـاصة بمـوضـوع معيـن >> ، وثـالثهـا << علـم يُعْنَــى بصيـاغة القـواعد الخـاصة بـإجراء مـا >>[3] .

.

---

(1) غـازي عنـاية ، منهجيـة البحـث العلمـي عنـد المسلميـن، ط1 ؛ دار البعـث للطبـاعة و النشـر ، 1985 ص92 .

(2) أنظـر رنيـه ديكـارت ، مقـال عـن المنهـج، ص 35 .

3)Runes, Dictionary of Philosophy , item : method by benyamin by,A.C. London , P 196 .
نقـلاً عن كتـاب محمد محمـد قـاسم ، فلسفـة العلـوم، دار المعرفة الجـامعية .

أمـا المنهـج العلمـي فيمكـن تعـريفه بـأنـه << تحـليـل منسـق وتنظيـم للمبـادئ والعمليـات العقليـة والتجـريبيـة التـي تـوجـه بالضـرورة البحـث العلمـي ، أو مـا تـؤلفـه بنيـة العلـوم الخـاصة >>[1].

---

(1) Runes ,ibid, P 196.

الأصـــــل التـــاريخـــي لمنهـج البحـــث العلمـــي

<u>أولاً</u> : فـــي العصـــور القـديمــة و الوسطــــى

إن اكتشـاف المعـارف بشـتى أنـواعهـا لا يتـأتـى إلاّ بتحديـد كيفيـة أو طـريقة تكـون كفيلـة بتحقيـق الأهـداف التـي يـرجـوهـا البـاحث من بحثـه ، هـذه الطـريقـة هـي مـا يطلـق عليهـا اسـم منـهـج ، وهتـه الكلمـة كمـا بينـا تعـود إلـى اللغـة اليـونـانية << استخدمهـا أفـلاطون بمعنـى البحـث أو النظـر، أو المعرفة ، واستخدمهـا أرسطـو بمعنـى البحث أيضًـا >>[1] .

ولـم يفتـأ الفلاسفـة يتبعـون منهجًـا أو طـرائـق فـي البحـث ، واهتـم البعـض منهـم بمسـألة المنهـج الفلسفـي اهتمـامًـا تجـلى فيمـا خصصـوه لهـا من مؤلفـات ، حتـى أنهـم لـم يكتفـوا بحـدوسهم الشخصيـة وإنمـا سعـوا إلـى الإستـدلال عليهـا أو الإقنـاع بهـا ، ولمـا كـان فلاسفـة اليونـان قد ركـزوا بحثهـم الفلسفـي علـى العلـوم التـي تستنـد إلـى النظـر العقـلي ، ولاسيمـا الريـاضة ، فـإنهـم اهتمـوا بالمنهـج العقـلي فـاهتـم "السفسطـائيـون" بفنـون الخطـابة لإشهـار آرائهـم ، واستخـدم "سقـراط" منهـج التـوليد بغيـة إيقـاف السفسطـائييـن عنـد حـدهـم ، واستغـل "أفلاطـون" ضـروب الحـوار والجـدل لبلـوغ المعـرفة الحقـة ، ولكـن استطـاع "أرسطـو" بوضعـه للقيـاس أن يقـدم منهجًـا جديـدًا للبحـث << فـوضع أرسطـو القيـاس الصـوري تقـديـرًا منه لأهميـة المنـهـج الصحيح فـي البحـث العلمـي >>[2] .

وكـانت غـاية أرسطـو من وضعـه للقيـاس الصـوري هـي جعـل الفكـر لا يتنـاقض، وذلـك لأن نتـائجه تكـون صـادقة بالقيـاس إلـى المقـدمـات لا بالقيـاس إلـى الـواقع .

---

(1) عـبد الرحمـن بدوي ، <u>منـاهج البحـث العلمـي</u>، ط2 ؛ القـاهـرة : دار المعـارف 1985 ، ص 4 .

(2) تـوفيـق الطـويل ، <u>أسس الفلسفــة</u>، ط11 ؛ بيـروت : دار النهضـة العـربيـة ص 185 .

ولقد ساد المنطق الأرسطي كمنهج للتفكير في فلسفة العصور الوسطى بشقيها المسيحية والإسلامية ، فكان القياس الصوري أداة ومنهج لبلوغ المعرفة ، وإذا كان هذا القياس قد وجد صدى كبير في العصور الوسطى في أوربا ، وكان أداة المعرفة في الحضارة الإسلامية فإن هذا لا يعني أن مفكري الإسلام إقتنعوا وقنعوا بهذا المنهج لوحده ، بل عمل مفكروها على استحداث منهج للبحث يتوافق مع الدين الإسلامي ، أو مع العقيدة . فحاول هؤلاء الإستعاضة عن هذا المنهج بمنهج يلائم عقيدتهم ، ورأو أنه لا يمكن دراسة الطبيعة بالمنهج القديم ، أي بالقياس، فأقاموا منهجًا يتناسب مع طبيعة الدراسة[1]

ولهذا اصطنعوا منهجًا جديدًا هو منهج الإستقراء ، فإستخدموا في دراستهم الملاحظة و التجربة ، واستعانوا بالألآت التي مكنهم من صنعها بحثهم ، وروح العصر الذي كانوا يحيون فيه ، وهذا المنهج – منهج الإستقراء – وضع أصوله في تاريخ الفكر العربي الإسلامي كل من "ابن الهيثم" و"جابر بن حيان" ، واستخدموه في دراساتهم التجريبية .

---

(1) أنظر علي سامي النشار ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي ، ط3 ؛ بيروت : دار النهضة العربية ، 1984 ، ص 123 .

وشاع هذا القياس في العصور الوسطى ، واعتبره المدرسيين المنهج الكفيل بتحقيق المعرفة ، ولقد احتل هذا المنهج بعد ذلك مكانة ملحوظة في المدارس الأوربية حتى مطلع العصر الحديث ، وضل أداة للبحث عند الفلاسفة المدرسيين ، وازداد تمسكهم بالقياس الأرسطي كمنهج وحيد للمعرفة في أواخر العصر الوسيط ، واعترفت الكنيسة به بعد أن تم التوفيق بينه وبين المسيحية ، وكان من بين الفلاسفة الذين قاموا بهذا العمل القديس توما الإكويني Saint Thomas d'aquin(1225-1274).

ولقد وضع ابن الهيثم منهجه في كتابه المناظر وأوصى بأن ، يبدأ الباحث باستقراء الجزئيات ثم التجريب وبعد ذلك تأتي المرحلة الأخيرة ، وهي مرحلة صياغة القوانين ، فهو يقول وهو بصدد بحثه كيفية الإبصار ما يلي : << نبتدئ في البحث بإستقراء الموجودات وتصفح أحوال المبصرات ، وتمييز خواص الجزئيات . . . ثم نرتقي في البحث ، والمقياس على التدرج و الترتيب مع انتقاء المقدمات والتحفظ في النتائج وتفحصها ، واستعمال العقل لا إتباع الهوى ، ونتجنب الميل مع الأراء ، ونصل بالتدرج و التلطف إلى الغاية >>[1]

وعرف مفكرو الإسلام إلى جانب المنهج التجريبي في اكتشاف الحقائق العلمية مناهج أخرى ، وأدركوا أن للعلوم الدينية منهجها الخاص ، وهو يختلف عن منهج العلوم الطبيعية ، فهو قائم على تحري صدق الرواية ، وصحة السند ، وأن للفلسفة هي الأخرى منهجها الخاص ، وهو قائم على المنطق .

رغم ما قام به العلماء المسلمين في إستحداث منهج جديد للبحث إلاّ أنه << كانت الفكرة الراسخة طوال تلك القرون ، هي أن للتفكير العلمي منهجًا واحدًا كائنًا ما كانت مادة العلم ، لا فرق في ذلك بين علم يبحث في الهندسة وثانٍ يبحث في الكيمياء . . . وضل هذا المنهج – المنطق – حتى عصر النهضة ، مع استثناءات قليلة ظهرت في جماعة من علماء العرب ، وهي قليلة لأنها ليست هي التي تميز الطابع العام للمناخ الفكري في مجموعه >>[2] .

---

(1) أنظر علي سامي النشار ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام وإكتشاف المنهج العلمي، ص 125 .

(2) زكي نجيب محمود ، أسس التفكير العلمي، ط1 ؛ القاهرة : دار المعارف ،بدون سنة النشر ، ص 15 – 17 .

ثـانيــًا :فـــــي عصــــر النهضـــــة

ضـل المنهـج المتبـع فـي البحـث ، فـي أوربـا القيـاس الصوري حتـى الفلسفـة المـدرسيـة ، ولمـا كـانت الحضـارة العـربيـة الإسـلاميـة قد عـرفـت منهـجًا مغايـرًا للمنهـج الأرسطـي ، ونظـرًا لمـا حققتــه هـاتـه الحضـارة مـن تقدم نقلت بعض كتـب العلمـاء التجـريبيين من مفكـري الإسـلام إلـى اللغـة اللاتينيــة ، بـإعتبـارها كـانت لغـة العلم فـي أوربـا آنـذاك ، فتـأثر البعض القليـل من مفكـري وفـلاسفـة العصـر الوسيـط المسيحـي ، ومـن بيـن هـؤلاء روجـر بيكـون Roger Bacon (1214- 1294) .

ومـن دلالات تـأثـره – روجـر بيكـون – بالنـزوع العلمـي الإسـلامي إدراكـه قيمـة المنهـج التجـريبـي ومنفعتـه ، فدعـا إلـى استخـدام المـلاحظـة والتجـربـة فـي البحـث ، غيـر أن هـذه الـدعـوة لـم تجـد قبـولاً ، وذلك نتيجـة الجـو الـذي كـان يسيطـر عليـه المنهـج الأرسطـي[1] .

وبقـي الحـال هكذا إلـى غـاية العصـر الحديـث ، حيـث تعـزى نشـأة المنـاهج فـي البحـث العلمـي عنـد المـؤرخيـن إلـى مطـلع العصـر الحـديث ، فعـادةً مـا ينظـر إلـى هـذا العصـر فـي بدايتـه علـى أنـه عصـر النهـضة العلميـة .

ورغـم أن تـاريخ الفكـر الإنسـاني هـو عبـارة عـن حلقـة متصـلة إلاّ أن بـوادر التجـديد العلمـي كـانت فـي هـذا العصـر << فتحـول المفكـرون و العـلمـاء عـن منهـج الفلسفـة اليـونـانية ومنطقهـا >>[2] .

---

(1) أنظـر تـوفيق الطـويل ، أسـس الفلسفـة ، ص 185.

(2) أحمـد أميـن وزكـي نجيـب محمـود ، قصة الفلسفـة الحديثة ، ط3 ؛ القـاهرة : مكتبـة النهضة المصـرية ، 1983 ج1 ، ص35

ولقد تنبه المفكرون الغربيون وعلى رأسهم فرنسيس بيكون* Francis Bacon ورنيه ديكارت إلى أن العقم الذي أصاب العلم و الفلسفة راجع إلى المنهج المتبع ، فكان أهم ما أسهم به بيكون في الفلسفة كان في ميدان المنهج .

وما إن جاء عام 1620 حتى أصدر بيكون مؤلفه الضخم الأرجانون الجديد الذي يعني الأداة أو الآلة الجديدة ، ليرد بذلك على أرجانون أرسطو ، أو آلة أرسطو القديمة ، مؤسسًا بذلك للمنهج التجريبي بكل خطواته منكرًا ورافضًا للمنهج الأرسطي باعتباره عقيم لا يؤدي بنا إلى الكشف عن الحقائق .

هكذا كان اهتمام رواد العصر الحديث بالمنهج ،وضرورة استبدال المنهج القديم بمنهج آخر كلٌ حسب طريقته وحسب رأيه ، فإلى جانب بيكون وديكارت كان هناك أصحاب منطق بورروريال Port Royal ، فهؤلاء كغيرهم جعلوا المنهج من ضمن مباحثهم ، وعرّفوه على أنه << فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة ، من أجل الكشف عن الحقيقة >>[1] .

وظهرت في القرن السابع عشر عدة مؤلفات عالجت مسألة المنهج أهمها ''الأرجانون الجديد '' لبيكون و ''مقال عن المنهج'' لديكارت الذي كشف فيه عن ثورة فكرية مماثلة لثورة بيكون ، في ميدان المنهج إذ يقول – ديكارت – في كتابه هذا << إني فكرت في وجوب البحث عن منهج آخر >>[2] .

---

* فرنسيس بيكون (1561- 1626) فيلسوف انجليزي ، تجريبي المذهب انتقد المنطق الأرسطي بشدة ودعا إلى المنهج التجريبي ، أهم مؤلفاته على الإطلاق الأرجانون الجديد

(1) عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي، ص 4 .

(2) رنه ديكارت ، مقال عن المنهج، ص 189 .

هذا بالإضافة إلى عدة مؤلفات ظهرت في هذا المجال ''كطب العقل'' لتشرنهاوس ، و''البحث عن الحقيقة'' لملبرانش ، و ''فن التفكير'' لمناطقة بور رويال .

وإذا كان القياس الأرسطي كمنهج فيما يقول خصومه ومنتقديه ، من أمثال بيكون وديكارت لا يقدم ولا يؤدي إلى معرفة جديدة لأنه يفسر للآخرين ما يعرفونه ، ولا يكشف لنا عن معارف نجهلها ، فإن المنهج البديل الذي اقترحه كل من بيكون وديكارت كلٌ على حدى في الفلسفة ، يقدم الجديد . فبيكون اقترح المنهج التجريبي الإستقرائي الذي يلائم الروح العلمية الجديدة ، وأعطى التجربة الحسية مكانة خاصة ، وهاجم بيكون المنطق الأرسطي وانتقده وإعتبره منطقًا عقيمًا، ثم راح ليقدم لنا منهجه في جانبين اثنين . جانب سلبي وجانب إيجابي بنائي الهدف منه أي من الجانب الإيجابي هو إعادة بناء ما تم تهديمه في الجانب الأول ، وكان هدف الجانب الأول هو تطهير العقل من الأخطاء ، وأطلق بيكون على هذا الجانب اسم نظرية الأوثان أو الأصنام .

وهذه الأوثان تعمل على تكبيل العقل الإنساني ، وصنف هذه الأوثان إلى أربعة وهي أوثان القبيلة وأوثان الكهف وأوثان السوق ورابعًا وأخيرًا أوثان المسرح، وكل واحدة تدل على معنى .

فأوثان القبيلة تتعلق بالأحكام المسبقة العامة الجزافية ، التي تشيع بين أفراد مجموعة معينة ، أما أوثان الكهف فهي عائدة إلى التنشئة الإجتماعية الخاصة ، والتربية العائلية وبذلك فالإنسان يحكم على الأشياء بمنظار هذه التنشئة ، وهكذا تكون أحكامه خاطئة وأحكام مسبقة . والنوع الثالث من الأصنام هو أصنام السوق ، هذه الأوثان هي راجعة إلى اللغة والإستخدام الخاطئ لألفاظها ، وآخر هذه الأوثان هو

أوثـان المسـرح وهـي الأوثـان التـي تتسـرب إلينـا من خـلال النظـريـات و المـذاهب الفلسفيـة والفكـريـة ومـن ثـم إلـى العقـل ،فتسيطر عليه[1] .

بعـد أن بيـن بيكـون الجـانب السـلبي عـرض الجـانب الإيجـابي من منهجـه ، وهـو الجـانب البنـائي أو مـرحـلة البنـاء ، أي بنـاء منـهـج جـديـد من أجـل الـوصـول إلـى الحقيقـة والمعـرفـة ، وهـذا مـا سمـاه بنظـرية الإستقـراء، وذهـب إلـى الطبيعـة لمـلاحظـة الظـواهـر ، وأكـد علـى عـدم الإكتفـاء بالإستـدلال القيـاسي القـديم الـذي اعتمد عليـه الفـلاسفـة فـي العصـور القـديمـة والـوسطـى << وكـادت نظـرية المنـهـج أن تكتمـل فـي كتـابه الأرجـانون الجـديـد الـذي نشـره عـام 1620 >>[2] .

وإذا كـان بيكـون رأى أن المنطـق الأرسطـي منطقـًا عقيمـًا ، ولا يمكـن بلـوغ المعـرفة من خـلالـه ، فـإن هـذا الـرأي كـان نفسـه عنـد ديكـارت، فهـذا الأخيـر قـدم نقـدًا لاذعـًا للمنطـق الأرسطـي وأعطـى هـو – ديكـارت – بدوره منـهجـًا للمعـرفـة ، يختلـف عن القيـاس وعـن منـهـج بيكـون التـجـريبـي، تمثـل هـذا المنهـج فـي الإستنبـاط العقـلي ورأى ديكـارت أن إصـلاح الفلسفـة لا يكـون إلاّ بـإصـلاح المنـهـج ، فقـدم فـي كتـابـه مقـال عـن المنهـج منهجـه البديـل ، وكـان هـذا المنـهـج نتيجـةً لتـأثر ديكـارت الكبيـر بالريـاضـة .

واتجـه ديكـارت إلـى أن يقيـم الفلسفـة الحـديثـة علـى نمـط العـلم الـريـاضـي الـذي يستخـدم المنهـج الإستنبـاطـي ، حتـى يتحقـق للفلسفـة مـا تحقـق للريـاضـة من دقـة ويقيـن[3] .

---

(1) أنظـر بـرتراند راسل ، تـاريخ الفلسفـة الغـربية، تـر : محمـد فتحـي الشنيطـي القـاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج3 ص79 80

(2) جـلال محمد مـوسى ، منهـج البحث العلمـي عنـد العـرب، ط2 ؛ بيروت : دار النهضـة العـربية ، 1973 ص 42 .

(3) أنظر رنيه ديكـارت، مبادئ الفلسفة، تر: عثمان أمين ، طبعة القاهرة ؛ 1960 ص25 .

وأقـام ديكـارت منهجـه علـى أسـاس الحـدس والإستنبـاط ، ويـراد بالحـدس انتقال الذهـن انتقـالاً سـريعًا ومبـاشـرًا من معلـوم إلـى مجهـول ، أمـا الإستنبـاط فهـو حـركـة ذهنيـة نستنتـج بهـا شيئـًا مجهـولاً من شـيء معلـوم << وأقـام ديكـارت منهجـه علـى أسـس ريـاضيـة لأن هـذه الأخيـرة تمتـاز بالنظـام و التـرابط >>[1] .

والمنهـج عنـد ديكـارت هـو << قـواعد وثيقـة سهلـة تمنـع مـراعاتهـا الدقيـقة مـن أن يـؤخذ البـاطل علـى أنـه حـق ، ويبلـغ بالنفس إلـى المعـرفـة الصحيحـة بكـل الأشيـاء التـي نستطيـع إدراكهـا دون أن نضيـع فـي جهـود غيـر نـافعـة ، بـل إنهـا تـزيـد مـا للنفس مـن علـم >>[2] .

ومـن أجـل هـذا رأى ديكـارت وبعـد أن هـاجم المنطـق الأرسطـي ، بـوصفـه منهـجًا للمعـرفة. أن يضـع قـواعد سهـلة يمكـن تطبيقهـا فـي كـل بحـث نظـري ، ولخـص هـذه القـواعد بعـد مـا كـانت اثنتـا عشـر قـاعدة إلـى أربـع قـواعـد ، هـي قـاعدة البـداهـة وقـاعـدة التحليـل وقـاعدة التـركيب ، وأخيـرًا قـاعدة الإحصـاء[3] . وهكـذا وبهـذه القـواعد تـلافى ديكـارت النقـص الـذي كـان فـي منطـق أرسطـو ، ورأى أن منهـج البحـث يتمثـل فـي منهـج الإستنبـاط .

وأصبـح بعـد ذلك منهـج الإستنبـاط المنهـج التقليـدي للفلسفـة ، غيـر أن الفـلاسفـة التجـريبيـين أنكـروا هـذا المنهـج العقـلي ، واعتبـروا أن كـل من لا يـأخـذ بمنهـاج البحـث التجـريبـي فـإن فلسفتــه أو دراستــه عبـث لا طـائـل مـن ورائـه .

---

(1) تـوفيـق الطـويل ، أسـس الفلسفـة ، ص 151 .

(2) رنيـه ديكـارت ، مقـالة الطـريقـة ، تـر : جميـل صليبـا ، دار النهـضـة العـربيـة ، 1985 ، ص 19 .

(3) أنظـر رنيـه ديكـارت ، المـرجـع نفسـه ، 35 .

حدث هذا كله في القرن السابع عشر ، وفي القرن الثامن عشر دعا هيوم Hume إلى ضرورة تطبيق المنهج التجريبي على العلوم الإنسانية ، فهو يقول في مقدمة كتابه مقالة في الطبيعة البشرية ، وهي محاولة لإدخال المنهج التجريبي للإستدلال في العلوم الإنسانية ما يلي << لمّا كان علم الإنسان هو الأساس القوي الوحيد الذي يمكننا إعطاؤه لهذا العلم نفسه، يجب أن يقوم على التجربة والملاحظة >>[1]

---

* دافيد هيوم (1711- 1776) فيلسوف انجليزي ، تجريبي النزعة ، أهم مؤلفاته مقالة في الطبيعة البشرية ، محاورات في الدين الطبيعي .

(1) David Hume ,Traite de la nature humaine de l 'entendement ; Trad. : de l’anglois par maisane David , 1930. P9.

ثـــالثـًا : فـــــي الفلسفــــــة الحـديـــثة والمعـاصـــــرة

اهتـم مفكـرو وفـلاسفـة القـرن السـابع عشــر كمـا ذكـرنـا بمسـألة المنهـج الواجب إتبـاعه مـن أجـل بلـوغ الحقيـقة و المعـرفـة ، ولـهـذا تـأصـلت فكـرة المنهـج ، وسـاد علـم المنـاهج Méthodologie بمعنـى العلـم الـذي يبحـث فـي الطـرق و الأسـاليب التـي تستخـدم فـي تقصـي الحقـائق العلميـة <<وأصبحـت مهمـة البـاحـث العلمـي تنحصـر فـي متـابعـة منـاهج العلمـاء المتخصصيـن ، واستقـرائـها ومـن ثـم تنسيقـها فـي نمـاذج عـامة تحكمـها قـواعد وقـوانيـن عـامـة >>[1] .

وبـذلك أصبح البـاحـث فـي الفلسفـة المعـاصـرة ، ومـع ظهـور وتبلـور هـذا العلـم الـذي هـو علـم المنـاهج يستقـرأ ويكشـف عـن الطـرق و المنـاهـج العلميـة . وعلـم المنـاهـج هـو دراسـة النظـريـات التـي تستعمـل فـي العلـوم ونظـريـات المعـرفة[2] .

وفـي القـرن الثـامن عشـر أخـذ كـانط* Kant ومـن خـلال كتـابـه نقـد العقـل الخـالص الـذي أصـدره سنـة 1781 يميز بيـن المنطـق العـام والمنطـق العلمـي ، الـذي كـان يقصـد بـه علـم المنـاهج مـن حيـث أنـه يبحـث فـي المنـاهـج الممكنـة التـي تنـظم العلـوم العلميـة << وهنـا كشـف النقـاب عـن اتجـاه جـديـد بـدأ يـظهـر وينمـو داخـل الفلسفـة ذاتـها وهـو عـلم المنـاهـج Méthodologie >>[3] .

---

(1) غـازي عنـاية ، منهجيـة البحـث العلمـي ، ص 93 .

(2) إبـراهيـم بيـومي مدكـور ، المعجـم الفلسفـي ، ص 196 .

* إيمـانويل كـانط (1724 – 1804) رائـد الفلسفـة العقليـة النقـدية ، أهـم مـؤلفـاته نقـد العقـل الخـالص ، نقـد العقـل العملـي ، نقـد ملكـة الحكـم .

(3) عبـد الرحمـن بدوي ، منـاهج البحـث العلمـي ، ص25 .

وبعد هذه الدعوة التي قام بها "كانط" ، ذاع إستخدام هذا المصطلح - علم المناهج – وتتطور تطورًا كبيرًا .

وكثيرًا ما تتداخل فلسفة العلوم مع علم المناهج إلاّ أن فلسفة العلوم المقصود بها هي << الدراسة النقدية للمعرفة >>[1] . أما علم المناهج فهو << الدراسة الفكرية لمختلف المناهج التي تطبقها العلوم>>[2] .

إذن البحث في المناهج ترسخ أكثر في الفلسفة المعاصرة و أصبح يتخذ من الطريقة التي يسلكها العلماء، للسير في بحوثهم موضوعًا له . وطريقة البحث تختلف باختلاف موضوع البحث .

ولقد عرف المنهج تطورًا كبيرًا في العلم المعاصر ، يقول "هايزنبرج " << إن إنتقال العلم من ميادين الخبرات السابقة الكشف ، إلى الميادين الجديدة لن يكون أبدًا مجرد تطبيق ما هو معروف من القوانين على هذه الميادين الجديدة ، بل على العكس من ذلك فإن الميدان الجديد حقلاً من الخبرات ، سيقود دائمًا إلى بلورة منهج جديد في المفاهيم ، والقوانين العلمية لن تكون قدراتها على التحليل المنطقي بأقل من قدرة المناهج القديمة ، ولو أن طبيعتها ستكون مختلفة إختلافًا جذريًا>>[3]، مانفهمه من هذا القول هو أن الحاجة الدائمة و الملحة للمنهج تجعل المنهج يتجدد بتجدد الإكتشافات والمعارف .

---

(1) عبد الرحمن بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، 1984 ، ج 2 . 220

(2) أنظر عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ، ص 23 .

(3) فيرز هايز نبرج ، المشاكل الفلسفية للعلوم النووية ، تر: أحمد مستجير، الهيئة العامة المصرية للكتاب 1973، ص19.

ولقد أصبح المنهج العلمي المعاصر قــائمًا على مجموعة من المراحل فهو << يبدأ من تعميمات إستقرائية ، ثم فرض مفسر ... أما آخر هذه المراحل فهي التحقيق التجريبي ، وهذه المرحلة تعد إمتدادًا طبيعيًا لمرحلة وضع الفروض مع إستخدام الإستدلال الريــاضي في الوصول إلى نتائج قابلة للتحقق >>[1]

---

(1) محمـد ، محمـد قـاسم ، مدخل إلـى فلسفـة العلـوم ، دار المعـرفة الجامعية ص 119

مناهـــــــج البحث العلـــــمي

إن اختلاف المواضيع يؤدي بالضرورة إلى إختلاف طريقة تناولها ، ولهذا كانت المناهج عديدة ولكن أهم هذه المناهج يتمثل في منهج الإستنباط والذي هو منهج العلوم الرياضية ، ومنهج الإستقراء وهومنهج العلوم الطبيعية وإذا كان البحث ينطلق من مبادئ ثابتة معروفة إلى نتائج تتضمنها فهذا يعني أن البحث يستند إلى الإستدلال ، وأما إذا كان البحث ينطلق من أحوال متشابكة تفرض عليه أجراء التجارب وإفتراض الفروض فهذا يعني أن البحث يستند إلى منهج الإستقراء .

ولقد عُرفَ منهج الإستنباط و الإستقراء في أوربا في مطلع العصر الحديث ، كــأكثر المناهج في البحث وذلك نظرًا لعقم المنطق الأرسطي ، والقياس الصوري ، وذلك بوضع بيكون لأسس المنهج التجريبي الإستقرائي ، ووضع ديكارت أسس منهج الإستنباط العقلي .

منــــــــهج الاستنباط أو الاستدلال

إن المراد من كلمة إستنباط Déduction هو صدور النتائج ضرورة عن مقدمات معلومة ، ولهذا كان الإستدلال هو إستنتاج قضية من قضية أخرى أو عدة قضايا معطاة للوصول إلى نتيجة معينة[1] .
ويتخذ الإستنباط أو الإستنتاج كقاعدة لتنظيم المعطيات التجريبية منهجيًا ، بعد أن تكون قد تراكمت ، والخطة العامة للمنهج الإستنباطي تتضمن مقدمات وقواعد للإستنباط ، والتعريفات << وهذا المنهج يبدأ من قضايا مبدئية مسلم بها، إلى قضايا أخرى تنتج عنها بالضرورة دون الإلتجاء إلى التجربة >>[2].

وكثيرًا ما يؤخذ الاستنباط والاستدلال بمعنى واحد << وإذا كان الإستدلال عملية منطقية ننتقل إليها في ذاتها ، بصرف النظر عن صدقها أو كذبها إلى قضايا أخرى ناتجة عنها بالضرورة ، ووفقًا لقواعد منطقية صرفة كان هذا المراد بالإستنباط أو الإستنتاج >>[3] .
والاستنباط أو الاستنتاج هو استخدام قوانين المنطق في إثبات الإستدلال على نتيجة ما ، من فرض أو أكثر ، وهذه النتيجة هي عبارة عن سلــسلة من الفروض ، والإستنبــاط يشكل الطريقة الهامة في التــفكير بصفة عامة << والمنهج الإستنباطي هو منهج للإستدلال وتفسيرها نظريًا من أجل الإستدلال إلى كافة النتائج المتعلقة بالموضوع بشكل دقيق ومترابط >>[4] .

---

(1) أنـظر إبـراهيم بيـومي مدكـور ، المعجـم الفلسفـي ، ص 210 .
(2) عـبد الرحمـن بـدوي ، منـاهج البحـث العلمـي ، ص 18 .

(3) كـارل بـوبر ،عقم المذهـب التـاريخي ، تـر : عـبد الحميـد صبـرة ، ص 160 .
(4) محمـد محمـد ربيـع ، منـاهج البحـث في العلـوم السيـاسية ،ط2 ؛الكويت، مكتبـة الفـلاح ، 1987 ، ص 255

.

ومنهج الاستنباط قديم قدم البحث العلمي وذلك لإرتباطه بالرياضيات فهو يعود إلى الفلسفة اليونانية . وفي الفلسفة الحديثة أقام ديكارت الفلسفة على هذا المنهج ، ويستخدم الإستنباط أصلاً كمنهج للعلوم الصورية (الرياضة والمنطق) ولما كان القياس كما رأينا من قبل عقيمًا في نظر فلاسفة العصر الحديث ، ورواد المنهج وجب إستبداله .

وأعطى" ديكارت" بذلك منهجًا كفيلاً بتحقيق المعرفة وهو لا يخرج عن الإستنباط ، ورأى أن هذا المنهج هو الذي يحقق للفلسفة ما حققته الرياضيات من دقة ويقين .

ويمتاز الإستنباط الديكارتي عن القياس الأرسطي رغم أن كل منهما ينضوي تحت الإستنباط ، بأن الأول يقوم على قضايا يقينية بينما يمكن أن يقوم الثاني على قضايا ظنية ، وإلى جانب هذا فإن نتائج القياس متضمنة في مقدماته، أما نتائج الإستنباط فهي عبارة عن معرفة جديدة ، ولقد كان ديكارت يعتقد أن << المبادئ وهي مقدمات الأنساق الإستنباطية يجب أن تكون مضمونة الصدق، بينة بذاتها >>[1].

ويعد المنهج الهندسي في الفلسفة شكل من أشكال الإستنباط ، ولقد أستخدم هذا الشكل على نطاق واسع وكان سبينوزا Spinoza* (1632-1677) أبرز ممثليه حيث كان ميالاً إلى الرياضيات وإلى منهجها . فإستخدم في ، كتابه الأخـــلاق المنهج الهندسي ، الذي يقوم على الخطوات التالية : التعريف ، ذكر القضية ، البرهنة عليها .

وكان الهدف من إستخدام" سبينوزا" لهذا النوع من المنهج هو الوصول إلى الدقة في التعبير عن المسائل الفلسفية وتناول موضوعاتها ، بنظرة علمية بعيدة عن كل تفسير ذاتي[2] . ولقد طبق سبينوزا المنهج الهندسي للبحث في ماهية الله من أجل بناء نسقه الفلسفي .

---

(1) كارل بوبر ، عقم المذهب التاريخي ، ص 160 .

* باروخ سبينوزا ، فيلسوف يهودي أحد أتباع المذهب العقلي، من أهم مؤلفاته :مبادئ فلسفة ديكارت ، رسالة في اللاهوت والسياسة .

(2)أنظر عبد الرحمن بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، ص 520 .

منهـــــــج الاستقراء التـــــــجريبي

الاستقراء هو إنتقال الفكر من الخاص إلى العام وهذا عكس الاستنباط[1]. والاستقراء كما يرى المناطقة منهج البحث في العلــوم الطبيعية ومصطلح الإستقراء Induction قديم قدم التراث الفلسفي ، وهو نوع من التفكير أو أسلوب للدراسة ، يتتبع الجزئيات للتوصل إلى حكم كلـــــي،ويسمى هذا المنهج بالمنهج التجريبي لأنه يستند في تحليــلاته إلى الملاحــظة والتجربة وإفتــراض الفروض << وهو منهج يبـــدأ فيــه من جزئــيات أو مبـــادئ غير يقينية إلى قضـــايا عـــامة ، وبالإستــعـانة بالملاحـــظة و التجربة لضمان صحة الإستنتاج >>[2] .

ولهذا يقــوم الإستقراء من خلال التــأكـيد عــلى عدة حالات وذلك عن طريق المـلاحـظة ، وإذا كان المنطق ينطلق من الكليات إلى الجــزئيات فإن الإستقراء عكس ذلك ، فهـو ينتقل من الجـزئيـــات لتعميم الحكـم على الكليات إذ هو << إستدلال يــبدأ بعدد معيــن من القــضايــا الجــزئية المتعلقة ببعض الوقــائع ، أو الأفــراد لينتــهي إلى قضية كلية تتعلق بكل الوقائع أو الأفراد من جنس معين >>[3].

ومعنى هذا أن الإستقراء يــراد به فحــص مجمـوعة من الظواهــر الحسية إبتغاء الكشـــف عن عللهـــا وذلك عن طــريق وصفهـا وتقرير حالتها وفقًا للواقع المحســوس ، والإستــقراء كــمنهج للبحث يعني إتباع أسلوب تجريبي في دراسة الظواهر ننتقل فيه من الحقائق الفردية إلى الفروض العامة ، ومنهج الإستقراء يسعى إلى إثبات حقيقة ما عن طريق ملاحظة الواقع .

---

(1) إبــراهيم بيــومي مدكــور ، المعجـم الفلسفــي، ص 200 .

(2) عــبد الرحمــن بــدوي ، منــاهج البحـث العلمــي ، ص 18 .

(3) مــوي بــول ، المنطـق وفلسفـة العلـوم ، تــر : فــؤاد زكــريا ،مراجعة محمود قاسم، طبعـة القـاهرة ، 1961 ج 1 ، ص 243 .

ولما كــان قــوام التــفكير على النهج الإستقرائي التجريبي ، أهتم الفلاسفة بهذا المنهج ، ومرد إهتمــامهم يعود إلى قصــور المنــطق الأرسطي في تحقيق معرفة جديدة .

ولقد كان التــفكير على النهج الإستنــباطي قديمًا قدم التــفكير نفسه إلاّ أن التفكير على النــهج التجريــبي لم يتبلور في تيار تكون له السيــادة فــي الحياة العلمية إلاّ خلال النهضــة الأوربيــة ، رغم أن "أرسطــو " كـان قد أشار إلى الإستــقراء ، إلاّ أن تلك الإشـــارات كـانت سطحية[1].

ويقوم منهج الإستــقراء على مجموعة من الخطــوات تكون بدايتها بالملاحظة أي ملاحــظة الظواهر وتقديم الفــروض ثم تــأتي التجربة ، ثم أخيرًا مرحلة صياغة القــانون العلمي ، هذه إذن هي خطــوات المنهج التجريبي << فهو يبدأ بملاحظة الظواهر وإجراء التجارب ، ثــم وضــع الفروض التي تحدد نوع الحقائق التي يجب البحث عنها ، وينـــتهي بالتحقق إما بصحة تلك الفروض أو بطلانها وبالتالي إلى قوانين عامة تربط تلك الظواهر وتوحد بينها >>[2].

ولقد كان بيكون أول من وضع أســس المنهج التجريبي الحديث فأراد الإلتــجاء إلى الطبيــعة ، وملاحظــة ظواهــرهــا . وعدم الإكتفاء بالإستــدلال القياسي القديم ، إلاّ أن هذا المنهج لم يكن كاملاً بل كان يشوبه بعض النقص ، ولقد قام كل من" كلود برنار" Claud Bernard (1813-1878) في فرنسا و"جون ستيوارت مل"John Stuart Mill (1806- 1873) في إنجلترا بتطوير هذا المنهج فأعلى الأول من شأن الفرض العلمي، وأما "مل" فقد وضع القواعد التي يمكن بها التثبت من صحة الفرض أو خطئه .

---

(1) أنـظر زكـي نجيب محمـود ، أسس التفكير العلمي ، ص 33 .

(2) عـبد الرحمـن بـدوي ، مناهج البحث العلمي ، ص 19 .

الفصل الثاني :

أسس المنهج الوضعي المنطقي وتطبيقاته

عند زكي نجيب محمود

أســـــس المنهـــج الوضعـــي المنطقـــي

إذا كـان القـرن السـابـع عشـر قـد عـرف وضعيـة أوغسـت كـونـت August Comte (1798 -1857) فـإن القـرن العشـريـن قـد شـهـد إلـى جـانـب مـا شـهده مـن مذاهـب فـكـريـة عـديـدة ، وضعيـة جـديدة عـرفـت بـالوضعيـة المنطقيـة * Positivisme logique ، أو التجـريبيــة المـنطقيـة ، وهـو إسـم أطلقـه جمـاعـة مـن الفـلاسفـة عـام 1931 م وعلـى رأسـهـم هـربـرت فيجـل Herbert Feigl (1902-1988) علـى مجمـوعة مـن الأفكـار الفلسفيـة التـي أخـذ بهـا فيمـا بعـد أعضـاء حلقـة فينـاCercle de Vienne ، هـذه الحلقـة التـي تكـونت عـام 1907 حينمـا إجتمـع عـالم الـريـاضة هـانز هـانHans Hahn (1879-1934) ، وعـالم الإقتصـاد أوتـونيـراثOtto Newrath (1882-1945) وعـالم الفيـزيـاء فيليـب فـرانك Philipp Frank (1884-1966) ، لمنـاقشـة فلسفـة العلـم، ولقـد أعْطَـوْ الأهميــة الكبـرى فـي تفكيـرهم إلـى كـل مـن الريـاضيـات والمنطـق والفيـزياء، وبذلـك بـدأو فـي وضـع المبـادئ العـامـة للفلسفـة الوضعيـة المنطقيـة غيـر أن التكـوين الفعلـي لهـذه المـدرسـة الفلسفيـة، بـدأ سنـة 1922 . حينمـا أستـدعـي مـوريـس شليـكMoritz Schlik (1882-1936) لتـدريس فلسفـة العـلوم الطبيعيـة بجـامعـة فينـا، ولـقد إنظـم إليـهـم فيـما بعـد كـل مـن رودولـف كـارنـابRudolf Carnap (1891-1970) وألفريـد آيـر Alfred Ayer(1910-1989).

وهـذا الاتجـاه الفلسفـي هـو فـي حقيقـة الأمـر ثمـرة أو استمرار لعـدة اتجاهات فكـرية ، أهمهـا الإتجـاه التحليـلي فـي التفكيـر . كمـا أنهـا إستمـرار للنظـريـة

---

*زكـي نجـيب محمـود (إشـراف) ، المـوسوعة الفلسفيـة المختصـرة ، تـر : فؤاد كـامل ، جـلال العشـري ، دار القلـم بيـروت ،ص537 .

التجريبية أو الحسية في المعرفة ، وهي النظرية التي نشأت كرد فعل مضاد للتيار العقلاني في الفلسفة[1].

كما كان للفلسفة الوضعية الكلاسيكية التي دعا إليها أوغست كونت دور كبير في بلورة أفكار هذه المدرسة هذا بالإضافة إلى أفكار كل من" برتراند راسل"Bertrand Russell(1872-1970) ، و"فتجنشتين" Ludwig Wittgenstein"(1889-1951) في التحليل اللغوي << وسميت هذه الحركة الفلسفية المعاصرة بهذا الإسم ، لأن أنصارها وضعيون بمعنى أنهم كالعلماء يريدون للإنسان أن يقف بفكره عند الحدود التي يستطيع عندها أن يقيم علمه ، على تجاربه وخبرته ، وأن يثبت صدق أقواله إثباتًا يستند إلى الملاحظة الحسية >>[2].

وتتلخص أهم المميزات الفكرية لهذه الحركة الفلسفية في ما يلي

أولاً : التأكيد على الإتجاه العلمي .

ثانيًا :التأكيد على الإتجاه التجريبي الوضعي .

ثالثًا :التأكيد على التحليل المنطقي للغة .

إن المذهب الوضعي المنطقي هو سليل التجريبية البريطانية التي دعت ومنذ القرن السابع عشر على يد كل من لوك* Loke وباركلي**Berkeley وهيوم Humeإلى ضرورة رفض مناهج الإستنباط العقلي في غير الرياضة ، متأثرين في ذلك بما حققته العلوم التجريبية من تقدم ، وحاول هيوم تطبيق المنهج التجريبي على العلوم الإنسانية من خلال كتابه **مقالة في الطبيعة البشرية** ، ولهذا نجد الوضعية

---

(1) أنظر عبد الرحمن مرحبا ، المسألة الفلسفية، ط 1 ؛ منشورات . عويدات 1961ص 39

(2) زكي نجيب محمود ، حياة الفكر في العالم الجديد ، ط1؛ دار الشروق القاهرة 1956 ، ص 234.

المنطقيـة تُكِّنُ الاحترام والتقديـر للتجـريبيـة الإنجليـزيـة التـي تُعْتَبَرْ بـالنسبـة إليـهـا رائـدة الفلسـفة العلميـة الحديـثـة ، وإلـى جـانب هـذا تـرتبط الوضعيـة المنطقيـة بـالفلسـفة التحليليـة الإنجليـزيـة عنـد كـل من "جـورج مور" Jorge Moore(1873- 1958) و"رسـل" ، وذلـك بتـأكيدهـا علـى ضـرورة أن يكـون المنهـج المتبـع فـي الفلسفـة هـو المنهـج القـائم علـى التحليـل اللغـوي << إن التقـرير الرسمـي لهـذه المـدرسـة يَنُصْ علـى أن يكـون المنهـج المتبـع الذي يُصْطَنَـعْ لتحقيـق أهـدافهـا ، هـو منهـج التحليـل المنطقـي ، الـذي يهـدف إلـى تحقيـق الوضـوح فـي التفكيـر، وإزالـة اللبـس والغمـوض عـن ألفـاظ اللغـة وعبـاراتهـا >>[1] .

فـالوضعيـة المنطقيـة تتبنـى مـن جهـة آراء التجـريبيـة الإنجليـزيـة ، التـي تقيـم المعـرفة علـى أسـاس الحـواس ، وتـرى ضـرورة الإعتمـاد علـى الحـواس فـي إدراك الوقـائـع ، وتعتمـد من جهـة أخـرى طـريقة التحليليـن فـي فهـم أقـوال العلمـاء .

ولقـد كـانت قـاعدة الإنطـلاق هـي الوقـوف عنـد اللغـة ، وذلـك مـن أجـل تحـديـد طبيعـة أي عبـارة لغـوية ، وذهـب فـلاسفـة هـذه المـدرسـة وعلـى رأسـهم كار ناب إلـى التـأكيـد علـى أن مـا سيبقـى للفلسفـة ليـس النظـرية و لا النسـق وإنمـا المنهـج وبـالـذات منهـج التحليـل المنطقـي << هـذا المنهـج الـذي أُعْتُـبِـرَ منهجًـا جديـدًا فـي الفلسفـة >>[1] .

ولهـذا ركـزت الوضعيـة المنطقيـة فـي فلسفتهـا علـى ثـلاث نقـاط أسـاسية ، هـي بمـثـابة الأسـس التـي قـامـت عليهـا ، وهـذه الأسـس هـي

---

*جـون لـوك (1632 – 1704) فيلسـوف إنجليـزي تجـريبي ، أهـم مـؤلفـاته: محـاولة فـي الفهـم الإنسـانـي .

** جـورج بـاركلـي (1685 – 1728) فيلسـوف إنجليـزي صـاحب المـذهب اللامـادي فـي المعـرفـة ، أهـم مـؤلفـاته : مبـادئ المعـرفة البشـريـة .

(1) توفيـق الطـويـل ، أسـس الفلسـفـة، ص 267 .

تحديد مهمة الفلسفة بتحليل أقوال العلماء ، والتأكيد على مبدأ التحقق Principe de Vérification، وثالثًا وأخيرًا رفض الميتافيزيقا .

---

(1) أحمد ماضي، الوضعية المنطقية والتحليل المنطقي في الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية ، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي ، بيروت 1985 ، ص 183 .

مهـــــــمــة الفلسفـــــــــة

عمـد أنصـار الوضعيـة المنطقيـة إلـى هـدم الفلسـفة من خـلال التحليـل المنطقـي ، وبـذلك أصبحـت مهمـة الفلسـفـة عنـدهـم تختلـف عمـا كـانت عليـه فـي السـابق << فلقـد أنكـر أصحـاب الفلسـفـة الوضعيـة مهمـة الفلسـفة التقليـديـة ومجـالهـا ، وزعمـوا أن كـل مـا نستطيـع معـرفتـه عن العـالـم ، وعن الإنسـان ومكانـه منـه ، يمكننـا أن نستقيـه من العلـوم الطبيعيـة . . . وليـس للفلسفـة مجـال فـي هذا >>[1] .

وبـذلك أصبحـت الفلسفـة علـى يد هـؤلاء مجـرد منهـج للبحـث ، ولكن هذا المنهـج لـه هـدف واحـد ووحيـد ، وهـو التحليـل المنطقـي للغة المستخـدمة فـي الحيـاة اليوميـة ، كمـا أنهـا تحليـل للغـة العلـم ، الهـدف من ورائه – مـن وراء هـذا التحليـل – هـو إزالـة اللبـس والغمـوض الذي إكتنـف الأفكـار ولا يزال . يقـول " فتجنشتيـن" عـن الفلسفـة مـايلي << ليسـت الفلسفـة علمًـا بيـن العلـوم الطبيعيـة بـل موضـوعها توضيـح الأفكـار أي القضـايا العلميـة توضيحًـا منطقيًـا >>[2] .

ولـم تعـد الفلسفـة مـع الوضعيـة المنطقيـة تلك الأنسـاق المتكـاملـة والمنسجمـة ، بل أصبحـت تتنـاول المشكـلات والموضـوعات بـالتحليـل والتـوضيح << ومـن ثـمّ فـالفلسفـة عندهـم فاعليـة ونشـاط وليسـت معتقـدات وأنسـاق ، ونظـم متكاملـة >>[3].

---

(1) تـوفيق الطـويل ، أسـس الفلسفـة، ص 56 .

(2) لودفيـج فتجنشتيـن ، رسـالة منطقيـة فلسفيـة ، تـر : عزمـي إسلام مكتبـة الأنجلـو المصـرية ، 1968 ، عبـارة رقـم 112 ، 4

(3) عـزمـي إسـلام ، إتجـاهات فـي الفلسفـة المعـاصـرة، ط 1 ؛ الكـويت وكـالة المطبـوعات ص 65 .

لـم تكـن الفلسفـة يومـًا مـن الأيـام علمـًا مـن العلـوم الطبيعيـة ولـهـذا وجـب عليهـا أن تكـون توضيحـًا للأفكـار تـوضيحـًا منطقيـًا فالفلسفـة بهـذا المنظـار ، لـم تعـد تلـك النظـريات التـي تضـاف الواحـدة إلـى الأخـرى ، بـل الفلسفـة و كمـا عرفـهـا فتجنشتيـن هـي << توضيـح الأفكـار توضيـحـًا منطقيـًا>>[1] . أي تـوضيح القضـايا وإزالـة اللبـس عنـهـا ، فـواجـب الفلسفـة إذن هـو أن تقـوم بتوضيـح وتحـديـد تلـك الأفكـار التـي يصـل إليـها العلمـاء فـي مخـابرهـم .

يقـول" فكتـور كرافـت" Victor Kraftفي كتـابه **<u>حلقـة فينـا</u>** مايلـي : << الأسـئلـة الفلسفيـة يمكـن أن تكـون فقـط أسئـلة منطقيـة ، أسئـلة لتحليـل العلـم تحليـلاً منطقيـًا >>[2] . فمهمـة الفلسفـة لـم تعـد تشييـد المـذاهب الضخمـة، وإنمـا اقتصرت مـع الوضعيـة المنطقيـة علـى تحليـل أقـوال العلمـاء ، وذلك قصـد توضيحهـا وفهمهـا لا أكثـر . والفلسفـة بذلـك كمـا يـرى "هـانز ريشنبـاخ"Hans Reichenbach أنهـا << لا تقـدم تلـك الحلـول المغريـة التـي تقدمـها مذاهـب تتحـدث لغـة مجـازية ، وتـهيب بالميـول الجماليـة ، وإنمـا تقدم إجـابات لا يفهمهـا إلاّ ذهـن مُـدَرّبْ علـى التفكيـر المجـرد >>[3] .

هكـذا إذن يرى أنصـار الوضعيـة المنطقيـة أن مهمـة الفلسفـة أصبحـت مقتصـرة علـى فهـم أقوال العلمـاء ، والقـوانين التـي توصلـوا إلـى إكتشـافها . وتتحـول الفلسفـة طبقـًا لهذه الدراسـة << إلـى مجـرد منهج للبحـث ، هـدفه

---

(1) لودفيـج فتجنشتيـن ،<u>رسـالة منطقيـة فلسفيـة</u>، ص 15 .

2)Victor Kraft , <u>The Vienna Circle Philosophical ,</u> New york 1953 , P 74

(3) هـانز ريشنبـاخ ، <u>نشـأة الفلسفـة العلميـة</u>، تـر : فـؤاد زكريـا ، القـاهرة : دار الكتـاب العربـي ، 1968 ، ص 113 .

التحليل المنطقي للغة المستخدمة في الحياة اليومية ، أو تلك التي يستعملها العلماء في بحوثهم بهدف إزالة اللبس والغموض الذي يعتري الأفكار ، مع بيان عناصرها حتى تبدو جلية >>[1] .

إن الفلسفة في نظر هذه المدرسة هي تحليل لغوي ، ومن العبث أن نقول أن مهمة الفلسفة ومن ثم الفيلسوف ، هي وضع المذاهب التي تقوم على مناهج الإستنباط العقلي ، ولما كان التحليل المنطقي هو عماد وجوهر الوضعية المنطقية إعْتَبَرَ فلاسفتها أن الفلسفة هي ذلك التحليل الذي يقوم به الفيلسوف لعبارات اللغة إذ يقول" ريشنباخ" << إن الفلسفة ليست شعرًا ، وإنما هي إيضاح للمعاني عن طريق التحليل المنطقي ولا مكان فيها للغة المجازية >>[2] .

إذن الفلسفة عند" ريشنباخ" الذي يُعْتَبَرْ من ممثلي الوضعية المنطقية هي التحليل المنطقي لجميع أشكال الفكر البشري ، وإذا أخذنا وضعيًا منطقيًا آخر وهو كارناب ، فهذا الأخير بدوره يؤكد على أن المهمة المناسبة والوحيدة للفلسفة هي التحليل المنطقي ، وبالتالي وظيفة الفيلسوف هي << تحليل كل المعارف ، أقوال العلماء وأقوال الحياة اليومية ، من أجل إيضاح معنى كل واحد من هذه الأقوال والعلاقات القائمة بينها >>[3].

وهكذا أصبحت الفلسفة كما يراها هؤلاء مجرد تحليل منطقي للغة، ولم تعد كما كانت عليه في السابق بحث في حقيقة الوجود ،أو طبيعة الفلسفة كما نظر إليها أتباع الفلسفة التقليدية ، يقول فتجنشتين
<< ليست الفلسفة نظرية تضاف إلى غيرها من النظريات ، بل هي

---

(1)Rudolf Carnap , The logical syntax of langage , (London 1959) P 280

(2) هانز ريشنباخ ، نشأة الفلسفة العلمية، ص 133 .

(3) مورتن وايت ، عصر التحليل ، فلاسفة القرن العشرين، تر : أديب يوسف شيش ، دمشق وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1975 ص 23

فـاعلية تنصـب علـى تحليـل القضـايا العلميـة ، وقـوام العمـل الفلسفـي طـائفة من التوضيحـات ، ليسـت نتيجـة العمـل الفلسفـي مجمـوعة من القضـايا الفلسفيـة بل نتيجتـه توضيـح القضـايا التـي يقولهـا غيـر الفلاسـفة من النـاس ، واجـب الفلسفـة أن توضـح وأن تحـدد تحديـدًا قـاطعًا ، تلـك الأفكـار التـي لولا الفلسـفة لظلـت معتمـة >>[1] .

ولمـا كانـت الفلسفـة عنـد الوضعيين المنطقيين تحليـلاً لا بنـاءًا ، فـإن الفيلسـوف لم يعـد يُضَـيْعْ جهده فـي بنـاء نسـق فلسفـي . وبذلـك كـان دور الفيلسـوف يتحـدد بالقضـاء علـى التعصـب ، وإزالـة الخلـط والتشـويش ، وينشـر النـور عـن طريـق تجليـة الأفكـار الأساسيـة [2]. كمـا يؤكـد " فـايجل " علـى أهميـة التحليـل المنطقـي ومـا يلعبـه من دور فـي الوضـوح والتمحيص ، والدقـة الموضـوعية ، ورأى " راسـل " أن مهمـة الفلسفـة هـي التحليـل الذي يفحـص الأفكـار ويوضحهـا .

<< وإذا كانـت الفلسفـة تحليـلاً لا بنـاءًا ، فلـم يعد الفيلسـوف المعاصـر يحـاول بنـاء نسق فلسفـي شامـخ ، كما كـان يفعـل أسلافـه >>[3] . وهكـذا إستطـاعت الوضعيـة المنطقية أن تحـدث ثـورة فـي الفلسـفة ، فلـم يبـق الفيلسـوف كمـا كان يحـاول جـاهدًا وصـف الوجـود ، ويحـاول كذلك بنـاء نسـق فلسفـي شـامخ .

إن الفلسفـة بالمعنـى التقليـدي لهـا هـي عبـث لا طـائـل من ورائـه ، هـي مناقشـات بيزنطية ، هـي لغـو وكلام فـارغ لا معنـى لـه ، هـذا مـاإستقـر عليـه الـرأي فـي المذهـب الوضعـي الجـديد << الطـريقة الصحيحـة للفلسفـة هـي ألا نقـول إلاّ مـا يمكـن أن يقـال ، أعنـي ألاّ نقـول إلاّ قضـايا العلـم الطبيعي أي

---

(1) فتجنشتيـــن ، رسـالة منطقيـة فلسفيـة، عبـارة 112 , 4 .

(2) أنظـر داجوبرت رونـز ، فلسفـة القـرن العشـرين، تر : عثمان نـويه ،مراجعة زكي نجيـب محمـود ، القـاهرة: مؤسسـة سجـل العرب ، 1963 ، ص 153 .

(3) زكـي نجيب محمـود ، قشـور ولبـاب، القـاهرة : دارالشروق1981 ص156.

نقـول شيئـًا لا شـأن لـه بالفلسفـة بمعنـاها التـأملـي >>[1] . بهـذا تكـون هـذه المدرسـة الفلسفيـة قد حصـرت دور الفلسفـة والفيلسـوف في مجـال واحد هـو التحليـل المنطقـي للأفكـار ، وإذا بقـي للفيلسوف من عمـل في زحمـة العلـوم فهـو فـي جوهـره عمـل تحليلي محـض ، وليـس إكتشـاف الحقيقـة لأن إكتشاف الحقائـق هو من عمـل العلمـاء في مخابـرهم ، أما الفيلسـوف فمهمتـه مقصـورة علـى تحديـد معـاني الألفـاظ ، وتوضيـح قضـايا العلـم يقـول " آيـر "<< إذا أراد الفيلسـوف أن يثبـت صـدق ما يزعمه من أنـه شـريك في زيادة المعـرفة الإنسانيـة ، فلا يجوز أن يحـاول وصـف الحقائـق عن طريـق التأمـل الخـالص ، أو أن يبحث عن المبـادئ الأولـى ، أو أن يصـدر أحكامـًا قبليـة عن صحـة ما نعتقـد فـي صدقـه علـى أساس التجـربة، بل ينبغـي له أن يحصـر مجهـوده في التـوضيح والتحليـل >>[2].

ولقـد ربـط " فتجنشتيـن" بيـن كل من الفلسفـة والتحليـل فأعطـى بذلك بعـدًا جديـدًا للتفلسـف ، غيـر الأبعـاد التي كانت مستخـدمة من أجـل إقـامة أنساق فكريـة ، فالفلسفـة عنـده ، وعنـد غيره من أتباع المـذهب الوضعـي المنطقـي هي منهـج يتبـع وأسلـوب يصطنـع في تنـاول المشكـلات ، وليـس تفكيـرًا تأمليـًا مجـردًا ، ولـهذا كـانت الفلسفـة عنـدهم طـريقة لحـل مشكـلات فلسفيـة لا إلـى خلـق مشكـلات جديـدة . إنهـا تحليـل للمشكلات وذلـك عـن طريـق تحليـل عبـارات اللغـة الـتي تصـاغ فيـها تلك المشكـلات .

ولقـد جعـل أنصـار الوضعيـة المنطقيـة وظيفـة الفلسفـة منحصـرة في مجـرد توضيـح الأفكـار ، والقضـايا والعبـارات وذلك بتحليلهـا تحليـلاً منطقيـًا يكشـف عمـا إذا كانت ذات معنـى أو لم تكـن كذلـك ، ولقـد عبـر عن هـذه

---

(1) فتجنشتيـن ، رسـالة منطقيـة فلسفيـة، عبـارة 003 , 4

(2) Alfred . J . Ayer , Language Truth and Logic . Power Publication . P 50 .

الفكرة" فتجنشتين" في أكثر من موضع ، وذلك في رسالته خاصة في العبارة رقم 116 , 4 والتي تقول :<< إن كل ما يمكن التفكير فيه على الإطلاق يمكن التفكير فيه بوضوح ، وكل ما يمكن قوله يمكن قوله بوضوح>>[1] .

ولأجل ذلك أُستخدم التحليل عند أتباع المذهب الوضعي المنطقي كمنهج في الفلسفة لا كغاية فلسفية ، وذلك من أجل توضيح المشكلات الفلسفية وخاصة ذلك الجانب المتعلق بالميتافيزيقا ، وفي هذا الصدد يقول فتجنشتين عن الفلسفة ما يلي : << إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار ، فالفلسفة يجب أن تعمل على توضيح وتحديد الأفكار بكل دقة >>[2] .

ولذلك كانت المشكلات الفلسفية ليست مما يمكن وصفه أنه تجريبي بل هذه المشكلات يمكن حلها بالبحث في إستعمالات اللغة إذ يقول " رسل " << إن كل مشكلة فلسفية ، إذا ما أخضعناها للتحليل وللتقنية الضروريتين ، ألفيتها إما ألا تكون مشكلة فلسفية بالمعنى الصحيح ، وإما أن تكون مشكلة منطقية بالمعنى الذي نقصد إليه بكلمة منطق >>[3] .

ولقد كانت الفلسفة عند " فتجنشتين" الذي يعد ملهم أنصار هذه المدرسة ، معركة ضد السحر الذي تمارسه اللغة على ذكائنا << إن معظم أسئلة الفلاسفة وقضاياهم ناتجة عن عدم فهمنا لمنطق لغتنا . . . فلاعجب إذن أن تكون أعمق مشكلاتهم ليست بمشكلات >>[4] .

---

(1) فتجنشتين ، رسالة منطقية فلسفية، ص 23 .

(2) المصدر نفسه، ص 34 .

(3) برتراند راسل ، تاريخ الفلسفة الغربية، تر : زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة 1945 ص 7 .

(4) فتجنشتين ، رسالة منطقية فلسفية، 003 , 4 ص 110 .

وذلك لأن العبارات و الألفاظ التي تؤلف اللغة ، هي عبارة عن رموز تَوَاضَعَ الناس على إستخدامها وذلك بغية التواصل فيما بينهم ، ولهذا كانت بين هذه العبارات والألفاظ التي نستخدمها عبارات لا تحمل معنى عند أتباع المذهب الوضعي المنطقي ، وذلك لأنه لا يمكن التحقق منها في الواقع ،ولهذا وقع الخلط في إستخدام اللغة ونشأت مشكلات فلسفية لا وجود لها .

يرى" آير" أن قيمة الفلسفة تكمن في قدرتها على إثارة الأسئلة وفي النجاح الذي تحرزه لدى الإجابة عليها [1] ،أما " موريس شليك " فيرى نفس الرأي مع " فتجنشتين " ، حيث يعتبر موضوع الفلسفة هو توضيح الأفكار توضيحًا منطقيًا ، كما يذهب " رامزي " Ramsey إلى نفس الرأي فهو يقول أنه من واجب الفلسفة أن توضح وتحدد الأفكار التي كانت قبل تحليلها غامضة[2] .

---

(1)Alfred Ayer , Language Truth and Logic . P 65 .

(2) أديب نـايف ، دراسـاتنا الأكـاديمية ومولد الفلسفة العربية المعاصرة ، مقـالة ضمن بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول ، بيروت: 1985 ص 160 .

مبـــدأ التحقـــق Principe de Vérification

تعتبر التجربة الحسية المنطلق الأول للفلسفة الوضعية المنطقية ، فهي المعيار الوحيد الذي تقاس من خلاله المعارف والأفكار ، ولما كانت التجربة الحسية هي المنطلق اعتمد فلاسفة هذه المدرسة على مبدأ أطلقوا عليه اسم مبدأ التحقق أقـاموا عليه فلسفتهم كلها .

ويقصد به أن دلالة الحكم أو العبارة إنمـا يتحدد بالطريقة التي يمكن بواسطتها تحقيق هذا الحكم ، وهذا التحقيق يكون عن طريق الإدراك الحسي التجريبي ، وعلى ذلك فجميع الأحكام التي لا نستطيع من حيث المبدأ إثباتها فهي مجرد لغو << واعتبر الوضعيون أن ما يمكن أن يكون أساس تحقيق المعاني هو وجود الأشياء أو الوقائع التجريبية . . . هكذا فما يمكن إثباته عن طريق الوقائع وحالتها كان صادقًا ، وإن جاء متناقضا مع الوقائع أو غير معبر عنها كان كاذبًا، أما إذا كان لا هو متفق و لا هو متناقض ، إذن لا يكون صادقًا ولا كاذبًا ، بل خاليًا من المعنى >>[1].

وبهذا ففلاسفة هذه المدرسة يعتمدون على هذا المبدأ بغية التفرقة بين ما يحمل معنى من العبارات وبين ما لامعنى له ، وهذا المبدأ يُرّدْ في أصله إلى تلك المناقشات التي دارت بين كل من "موريس شليك" و "فتجنشتين" حول إحدى القضايا التي جاءت في رسالة هذا الأخير ، وهي القضية التي تقول << ولأن نفهم معنى قضية ما ، هو أن نعرف ما هنالك ، إذا كانت صادقة >>[2]. وعرفت هذه القضية في دائرة فينا بأنها الإعلان الصريح من جانب فتجنشتين لهذا المبدأ، وهذا ماجعل أصحاب الوضعية المنطقية يذهبون إلى معنى << القضية إنما تحدده طريقة قبولها للتحقق ، أو بعبارة لا يصبح للقضية معنى إلآ عندما نتبين إمكان تطبيقها تجريبياً>>[3].

---

(1) عزمي إسلام ، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة ، ص121.
(2) فتجنشتين، رسالة منطقية فلسفية ، ص86 .
(3) محمد ثابت الفندي ، مع الفيلسوف ، ط1 بيروت دار النهضة العربية 1974، ص265.

إن مبدأ التحقق يعني أن أي قضية أو أي عبارة لا تكون صادقة أو كاذبة ، أي حتى يكون لها معنى وجب أن يكون هناك ما يطبقها في الواقع الحسي ، فإذا قلنا على سبيل المثال كلمة " مطر" فهذا اللفظ له ما يقابله في الواقع، وإذا قلنا " السماء تمطر" فإننا نستطيع أن نتحقق من هذه العبارة عن طريق الواقع الحسي ، فنُصّدق هذه العبارة أو نكذبها ، ولكن إذا قلنا "العقل اغترب في الطبيعة" ، فهل يمكن التحقق من هذه العبارة ؟ لا بالتأكيد حسب أنصار المذهب الوضعي المنطقي ، لأنه لا يوجد ما يقابله في الواقع .

ويعتبر هذا المبدأ الأساس المهم من بين الأسس التي قامت عليها الوضعية المنطقية . إن هذا المبدأ هو الذي يجعل من القضية لها معنى أو خالية من المعنى وبذلك اتخذت الوضعية المنطقية منه محكًا لاختبار العبارات ، وذلك بغية معرفة إذا كانت هذه الأخيرة تحمل معنى أو لا ، وبهذا المبدأ وحده يستطيع الدارس أو الباحث أن يختبر الألفاظ و العبارات اللغوية ، التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية ، أو يستعملها الفلاسفة أو العلماء في مخابرهم .

ولقد فسر "موريس شليك" مبدأ التحقق بالإدراك المباشر للتجربة ، وذلك لأنه يقول بنظرية التطابق في المعرفة ، ومعنى القضية يقوم على مبدأ التحقق ، ومعنى هذا أنه لا يمكن التحقق إلاّ من القضايا الحسية أما القضايا الأخلاقية و الجمالية و الميتافيزيقية فهي لا تحمل معنى .

يقول فتجنشتين بفكرة تحقيق القضية وهي الفكرة المعروفة بمبدأ التحقق، وعلى الرغم من أن هذا الأخير لا يكاد يستخدم كلمة تحقيق في فلسفته إلاّ أنه يستخدم كلمة مقاربة فهو يقول في رسالته المنطقية << لكي نكشف عما إذا كان الرسم صادقًا أو كاذبًا يلزم أن نقارنه بالوجود الخارجي >>[1]

---

(1) فتجنشتين ، رسالة منطقية فلسفية، العبارة رقم3 22, 2 ص 95.

ولقد كان لفكرة فتجنشتين عن تحقيق القضايا أثر بالغ في ظهور هذا المبدأ عند فلاسفة الوضعية المنطقية بصفة عامة ، حتى أصبح يعرف مع آير بالتحقق الفعلي * و التحقق الممكن **.

ويميز كارناب بين نوعين من التحقق ، مباشر وغير مباشر ، ففي الأول يكون التحقق من قضية مباشرة ، وذلك دون اللجؤ لإلى مقدمات أو قضايا أخرى قصد التحقق . يقول كارناب << ألآن أرى مربعًا أحمر على أرض زرقاء ، فيمكن عندئذ اختبار صحة القضية مباشرة ، فإذا كنت أرى ألآن حقًا مربعًا أحمر على أرض زرقاء فإن القضية يُجْرَى التحقق من صحتها بصورة مباشرة ، بهذه الرؤية >>[1] .

أما التحقق الغير المباشر فهناك بعض القضايا لا يمكن أن نتحقق منها مباشرةً، كهذه القضية " هذا القضيب مغناطيسي " في هذه القضية لا يمكننا التأكد بشكل مباشر من وجود الموجات المغناطيسية ، ولهذا يرى كارناب أنه هناك طريقة أخرى للتحقق من ذلك ، عن طريق التحقق غير المباشر ، وذلك باللجؤ إلى مجموعة من القضايا و القوانين التي كنا قد تحققنا منها في السابق[2].

ويرى كارناب أن هذه الطريقة إيجابية ، وذلك من أجل إثبات صحة قضية ما << إلاّ أن اليقين المطلق فلا يمكن أ، نبلغه أبدًا >>[3].

---

* التحقق الفعلي : هو التحقيق الذي يكون مباشرة أي بمشاهدة الوقائع مباشرةً .
** التحقق الممكن : هو التحقيق غير المباشر ، ويكون بإضافة عدة عبارات أخرى إلى العبارة المراد التحقق منها ، شرط أن تكون هذه العبارة إما ممكنة التحقيق مباشرة ، أو تكون عبارة تحليلية .

(1) R . carnap , The Logical Syntax of Langage P 231.

(2) كارناب ، المصدر نفسه ، ص 231.
(3) كارناب ، المصدر نفسه ، ص 232.

ولقد فرق آير في كتابه Langauge Truth and Logic[1]. بين نوعين من التحقق فهو يتحدث عن إمكان التحقيق من الوجهة المنطقية ، التحقيق القوي و التحقيق الضعيف فالأول يكون عندما تجئ الخبرة الحسية مدعمة لصدق القضية تدعيمًا تامًا وكاملا ، وأما الضعيف فيكون حين تأتي الخبرة مدعمة لصدق القضية على وجه الاحتمال وبذلك كانت العلوم الطبيعية من القضايا التي يستحيل فيها التحقق الذي يجعلها يقينية وبذلك فتحقيقها من النوع الضعيف بالإضافة إلى قضايا العلوم الطبيعية هناك قضايا لا يمكن التحقق منها بشكل يقيني وهذه القضايا هي قضايا التاريخ وذلك لأنه لا يمكن بحال من الأحوال أن تجتمع لدينا كل الشواهد والأدلة التي تجعل تلك القضايا يقينية .

ولهذا فإن آير يرى أنه باستثناء قضايا الرياضيات التي هي تحصيل حاصل فإن القضايا الباقية، التحقيق فيها يكون على سبيل الاحتمال .

---

(1)Ayer , language truth and logic P37.

رفـــض الميتافيزيقـــــا *

كانت الفلسفة التقليدية تصب اهتمامها على النظر الشامل للوجود اللامادي ، بما هو كذلك ، و البحث في لا نهاية الكون ، ومكان الإنسان من هذا الوجود ، كما كانت تهدف إلى البحث عن أصل ومصير هذا الكائن ، ودراسة قيمه المطلقة ، وذلك في مجالات الحق والخير والجمال ، ولكن مع الفلسفة الوضعية أو الوضعية الكلاسيكية فإن أوغست كونت ومن خلال نظريته المعروفة بنظرية الأحوال الثلاثة ، رأى أن الإنسان قد وصل إلى المرحلة الوضعية وبذلك قد تجاوز المرحلة الميتافيزيقية ، ولهذا فالمعرفة الإنسانية من وجهة نظره قد تخلت عن التجريدات الميتافيزيقية ، وبناءًا على ذلك فإن الميتافيزيقا ماهي إلاّ مرحلة من مراحل الفكر البشري قد تجاوزتها الإنسانية اليوم ، وحلت محلها المرحلة الوضعية التي يظهر فيها للذهن البشري استحالة الوصول إلى مثل تلك المعارف ، فيتخلى عن البحث عن أصل العالم وغايته ، وعن معرفة ماهيات الأشياء وعللها ، ومصيرها ، ولهذا فإن الميتافيزيقا كما يرى كونت ، هي مرحلة تجاوزها العقل البشري هذا العقل الذي صار يتخذ من التجربة مبدءا له ، ومن العلم إجابة على كل الأسئلة التي يطرحها الإنسان .

إذا كان هذا هو موقف أوغست كونت من الميتافيزيقا فإن الوضعية المنطقية قد ذهبت إلى أبعد من هذا في رفضها وإقصائها للميتافيزيقا وأصبح البحث في

---

* ميتافيزيقا Métaphysique : كلمة ميتافيزيقا تعريب للكلمة اليونانية " تامتاتا فوسيكا " ومعناها ما بعد الطبيعة ، و المعروف أن الأصل في هذا الاسم يعود إلى ترتيب كتب أرسطو لما نشرها أندرونيقوس الرودسي في القرن الأول قبل الميلاد ولذلك فإن ما بعد الطبيعة تعني الكتاب التالي في الترتيب لكتاب الطبيعة في مجموع مؤلفات أرسطو ولا علاقة له بمضمون أو موضوع هذا العلم ، أما هذا العلم عند أرسطو فهو الفلسفة الأولى وأحيانًا يسميه الإلهيات ، ولقد أصبح يطلق اسم ميتافيزيقا على البحث في الأمور التي تتجاوز الطبيعة ، أو هي الفلسفة الأولى وهي تبحث في الموجود بما موجود ولا تبحث في موجود معين بالذات .

مجـالات الخيـر و الحـق والجمـال التـي هـي في الأصل الأسـاس الأول للبحـث الميتـافيزيقـي مـرفوض ، وتطبيقـًا لمبدأ تحقيـق المعـاني ، ذهـب الوضعيـون المنـاطقـة إلـى رفـض الميتـافيزيقـا ، علـى أسـاس أن قضـاياها خـالية من المعنـى ، يقـول آيـر << فتعـريف الجمـلة الميتـافيزيقـة ، هـو أنهـا عبـارة يـراد بهـا أن تعبـر عـن قضيـة حقيقيـة ، ولكنهـا فـي حقيقـة أمـرها لا هـي بمعبـرة عن تحصيـل حاصـل ، ولا عـن فـرض تحققه التجـربة ، ولمـا كـانت تحصيـلات الحـاصل والفـروض التجـريبيـة تستنفذ كـل القضـايا ذات المعنـى كان لـنا ما يبـرر التـأكيـد، بـأن ما تقـوله الميتـافيزيـقا خـال من المعنـى >>[1] .

ولمـا كانـت اللغـة المفهـومة الـواضحـة ، هـي منطلـق هـذه المـدرسة وقـوامها الأسـاسي في التفكيـر بصفـة عامة ، و التفكيـر الفلسفـي بصفـة خـاصة عمـد أنصـار هذه المـدرسة إلـى التمييـز بين القضـايا ، فهنـاك القضـايا التحليليـة و القضـايا التـركيبيـة ، فـالأولـى هي مـن قبيـل المنطـق و الـريـاضيـات ، أمـا الثـانيـة فهـي تخـص العلـوم الطبيعيـة . ولـقـد سبق كـانط إلـى التمييـز بيـن الأحكـام، فـرأى أن المعـرفة العلميـة تقـوم علـى مجمـوعة من الأحكـام ، وهـذه الأحكـام نـوعان تحليليـة وأخـرى تركيبيـة[2] .

فـالأحكام التحليليـة: هـي أحكـام أوليـة سـابقة علـى التجـربة ، وهـي لا تخـرج عن كونهـا أحكـامًا تفسيـرية ، وذلك لأنهـا تشـرح لنـا معنـى مـا ، دون أن يزيـدنا محمـولها معـرفةً بمـوضـوعها ، كقـولنا " الكـل أكبـر من الجـزء " .
أمـا الأحكـام التـركيبيـة : فهـي عبـارة عن تـأليف جـديد بيـن المـوضـوع والمحمـول، وبذلك يـزيدنا محمـولها معـرفةً بمـوضوعهـا كقـولنا " كـل الأجسـام ثقيلـة " .

---

(1) Ayer , Language Truth and Logic , P 41 .

(2) إيمـانويل كـانـط ، نقـد العقـل المحـض، تـر : مـوسى وهبـة ، مركـز الإنماء القـومي ، ص48 .

وإذا كـان كـانط يرى أن العلـم يجـب أن يقوم على أحكـام تركيبية وأوليـة فـي وقـت واحـد فإن الوضعيين المنـاطقة يـرون أن القضـايا التركيبيـة تخـص العلوم الطبيعيـة وحـدها ، وذلك لأن العلمـاء هم الذيـن بـإستطاعتهم تقرير صحـة تلك القضـايا أو بطلانهـا ، ولمـا كان المنطق أو عبارات المنطـق، عبـارات تحليليـة عند الوضعيـة المنطقيـة فـإن << قضـايا المنطـق فـارغة من أي معنـى ، أي أن المنطـق لا يبحـث في المسـائل و المشكـلات التـي تخـص العلـوم الطبيعيـة >>(1). أمـا فيمـا يخـص قضـايا الريـاضيات فـإن الوضعييـن المنـاطقة ، يرون أن << وصفهـا بأنهـا تحليليـة لا ينطـوي علـى أي إقـلال من شـأنهـا >>(2).

هكـذا إذن فـإن العبـارة التحليليـة هـي التـي لا تقـول شيـئًا جديـدًا عن المـوضـوع المتحـدث عنـه ، فهـي لا تقـدم لنـا شيـئًا جديـدًا سـوى تحليـل ذلك المـوضـوع إلـى عنـاصره ، وفـي مثـل هذه الحـالة يكـون تصـديق أو تكـذيب العبـارة قـائمًا على مـراجعـة التحليـل ، ومن هنـا كـانت القضـايا الريـاضيـة يقينيـة ، أو تحصيـل حـاصـل ، لأنهـا عبـاراتها تحليليـة ، أمـا العبـارات التـركيبيـة فهـي التـي تخبـرنـا بمعلـومات جـديـدة ، لـم نكـن نعـرفهـا وإذا أردنـا إختبـار صـدقـهـا أو كذبهـا فعلينـا بالعـودة إلـى الـواقع الحسـي .

ولمـا كـانت العبـارة التـي يمكـن الحكـم عليـها بالصـدق أو الكـذب لا تخـرج عـن هـذين النـوعيـن ، فـإن العبـارة الميتـافيزيقيـة لا يمكـن أن تكـون عبـارة تحليليـة ولا تـركيبيـة . وفـي واقـع الأمـر أن الميتـافيزيقـا قـد تعـرضـت إلـى حمـلات كثيـرة ، وتلـك الحمـلات لم تكن وقفًا على الوضعيين المعـاصرين ، بل سبقـهم إلـى ذلـك " هيـوم " و "كـونـت " ، وإذا كـان رفـض هيوم لهـا علـى أسـاس أنهـا عـديمة الفـائدة ، وأنهـا ليسـت من قبيل العلـم

---

(1) هـانز ريشنبـاخ ، نشـأة الفلسفــة العلميـة، ص 196 .

(2) المـرجـع نفســه، ص 197 .

التجريبي ، وأنه لا وجود لحقائق ميتافيزيقية ولقد عبر عن رفضه للميتافيزيقا بقوله << عندما نجوب خزائن الكتب مقتنعين بهذه المبادئ ، فما الذي يجب علينا أن نتلفه ، فإذا أمسكنا بكتاب في اللاهوت أو الميتافيزيقا مثلاً، فلنتساءل هل فيه إستدلالات مجردة حول الكمية و العدد ؟ لا . هل به إستدلالات تجريبية حول مسائل تتعلق بالواقع أو الوجود ؟ لا . إذن فلقي به في النار إذ ليس به سوى مغالطات و أوهام >>[1] . أما" كونت" فاعتبرها مرحلة من مراحل الفكر قد تجاوزها الإنسان ، وذلك بحلول المرحلة الوضعية ، والميتافيزيقا في نظر "كونت " هي عبارة عن بحث عما لا يمكن معرفته << أما أصحاب المذهب الوضعي المنطقي فيبنون إستحالة الميتافيزيقا على أساس أن أقوالها فارغة من المعنى . . . إنها أقوال لا تدل على شيء إطلاقًا >>[2]

لقد رفض فلاسفة الوضعية المنطقية الميتافيزيقا بناءًا على ما ذهب إليه " فتجنشتين " في الرسالة المنطقية الفلسفية على أنها خالية من المعنى أو أنها مجرد لغو، يقول " فتجنشتين " << معظم ما كتب من قضايا وما سئل من أسئلة عن الموضوعات الفلسفية ليس باطلاً فحسب ، بل خاليًا من المعنى، فلسنا نستطيع لذلك أن نجيب عن هذه الأسئلة إطلاقًا وكل ما نستطيعه حيالها هو أن نقرر خلوها من المعنى >>[3] .

هكذا إدعت الوضعية المنطقية أنها فلسفة علمية ، ورفضت النظر الميتافيزيقي لأنها أنكرت كل تفكير أولي قبلي* A priori في غير الرياضيات، ولأن الميتافيزيقا تستخدم ألفاظًا تحمل معاني أُتُفِقَ عليها بين الناس ، فهي تتحدث عن موجودات لا وجود لها في الواقع المحسوس ،

---

(1) David Hume , Traite de la Nature Humaine , P 125 .

(2) زكي نجيب محمود ، قشور ولباب، ص 169 .

(3) فتجنشتين ، رسالة منطقية فلسفية، عبارة رقم 003 , 4

* أولي قبلي : يقال هذا اللفظ للتمييز بين تحصيلات الحاصل ، وبين الحقائق التجريبية .

ولا يمكـن التثبـت منهـا بالتجـربة ، يقـول " آيـر " << إن الإتهـام الذي نوجهـه للميتافيزيقي ، ليـس هـو أنـه يحـاول إستخـدام العقـل فـي مجـال يستحيـل عليـه أن يغـامر فيـه مغـامرة مجديـة ، بـل هـو أنه يقـدم لنـا عبارات لا تحقق الشـروط التي لا بدّ من تـوافرها ، لكـي تكـون العبـارة ذات معنـى >>[1] . قضـايا الميتـافيزيقا كلهـا بحسب المذهـب الوضعـي المنطقـي ، ما هـي إلاّ مجـرد منـاقشات لفظية عقيمـة ، ولغـو لا يجـدي نفعًا فهـي بحكم تعريفـها تتحـدث عن شـيء ليـس موجـودًا فـي الطبيعـة ، ولما كـان من المستحيـل علـى الإنسان تصـور شـيء ، يستحيـل أن يكون جـزء من خبـرة هـذا الإنسان كـانت بذلك العبـارات الميتـافيزيقية، لا تتـوفر علـى شـرط القضيـة ، وهـي بالتـالي كلام فـارغ من المعنـى .

ولقـد إستنـدت الوضعيـة المنطقيـة في إستبعـاد الميتافيزيقـا ، و العلـوم المعيـارية من مجـال البحـث العلمـي إلـى مبـدأ التحقـق ، ومن هنـا كـان هـذا المبـدأ مقيـاسًا لتحديـد معـاني العبـارات ، ولمـا كـان من المتعـذر ربـط قضـايا الميتـافيزيقا بعـالم الـواقع المحسـوس ، إستبعـدت هذه القضـايا من مجـال البحـث .
يقـول " كارنـاب " << إن طـابع الميتـافيزيقـا اللانظـري لـن يكـون في ذاتـه عيبًـا، فكـل الفنـون تملـك هـذا الطـابع اللانظـري مـن دون أن تفقـد بذلـك قيمتهـا السـامية فـي الحيـاة الشخصيـة والحيـاة الإجتمـاعية أيضًـا ، لكـن الخـطر في طـابع الميتـافيزيقا المخـادع ، فهـي تُـوْهِـمُ بـأنهـا تعطـي المعـرفـة ، علـى أنهـا في الحقيقة لا تعطـي أي معـرفة ، ولـهـذا السبب نـرفضـهـا >>[2] .

ويفـرق " كـارنـاب " بيـن ثـلاث أنـواع من العبـارات وذلك لكـي يبين أين يمكـن أن تدخـل العبـارات الميتـافيزيقية ، وهـذه الأنـواع هـي :
أولاً عبـارات شيئيـة : وهـي التي تتحـدث عن أشيـاء موجـودة في العالم الخـارجي

---

(1) Ayer , Language Truth and Logic , P 35 .

(2) Carnap Rudolf , The logical Syntax of language P 270 .

المحسوس ، وهذه يمكن أن نتحقق منها عن طريق الإدراك الحسي ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، كأن نقول " هذه شجرة " أو " هذا كتاب " .
ثانيًا : عبارات بنائية : وهي التي تتحدث عن كلمة من كلمات اللغة ، كان نقول " القلم هو كلمة تقال عن شيء أعد للكتابة " .
ثالثًا : أما النوع الثالث من العبارات فهي توحي بأنها من النوع الأول ، ولكنها في الحقيقة تنتمي إلى النوع الثاني << وأمثال هذه العبارات سنطلق عليها اسم عبارات تتحدث عن أشباه أشياء >>[1] .

ويذهب فتجنشتين إلى التمييز بين نوعين من القضايا وذلك من حيث المعنى ، فهناك القضايا التي تحمل معنى مثل << القضايا التجريبية التي تتحدث عن الوجود الخارجي ، فتجيء رسمًا له سواء كان هذا الرسم مطابقًا للواقع ، فتكون القضية صادقة ، أو غير مطابقة للواقع فتكون كاذبة ، أما القضايا الثانية ، فهي خالية من المعنى لأنها لا تقول شيئًا بحكم تركيبها مثل قضايا الميتافيزيقا >>[2] .

والقضايا الميتافيزيقية حسب أنصار هذه المدرسة ليست بالقضايا الحقيقية، ومن ثمّ كانت المشكلات الناجمة عنها ليست بالمشكلات الحقيقية. ويرى " فكتور كرافت " أن الميتافيزيقا عباراتها خالية من المعنى ، وهذا يعود إما إلى وجود عبارات لا معنى لها في الأصل ضمن العبارات الميتافيزيقية ، أو إلى أن العبارات الميتافيزيقية تُخِلُ بتناسق العبارة اللغوي، ذلك التناسق الذي يمنح العبارة المعنى[3].

ولما كانت المشكلات الفلسفية الميتافيزيقية ليست بالمشكلات الحقيقية ، فإنه يترتب على ذلك بحسب المذهب الوضعي المنطقي ، أن لا تكون هناك

---

(1) Carnap Rudolf , The Logical Syntax of language , P 285 .

(2) فتجنشتين ، رسالة منطقية فلسفية، ص 45 .

(3) Kraft .V. The Vienna Circle Philosophical , P 33 .

أجوبة على هذه الإشكالات ،وهذا ما يفسر حسب هؤلاء تخبط الفلاسفة القدماء و الوسيطيين ، ومن نحا نحوهم من الفلاسفة المحدثين في أمر بعض المسائل الفلسفية الكبرى ، وتضاربت آراؤهم ، ووقعوا في مأزق لا مخرج منه ، ولذلك يقول " كارناب " << إننا لا نجيب عن الأسئلة الفلسفية ، وبدل من ذلك فنحن نرفض جميع الأسئلة الفلسفية سواء كانت تتعلق بالميتافيزيقا أو نظرية المعرفة أو الأخلاق ، لأن إهتمامنا هو بالتحليل المنطقي >>[1] .

---

(1) R . Carnap , The Logical Syntax of Language , P 278 .

تطبيقـــــات المنهـــج الوضعـــي المنطقـي عند زكي نجيب محمـــــود

لـم تنحصـر الوضعيـة المنطقيـة فـي حدود العـالم الغـربي فحسـب ،بـل أثـارت المشتغليـن بالفلسفـة فـي الوطـن العربـي ، فـأولـوا الوضعية المنطقيـة أهميـة ترتـب عليـها إتخـاذ مـواقف من مبـادئ هـذا الإتجـاه الفلسفـي ، ومن المـلاحظ أن هـذا التيـار الفلسفـي لـم يلـق أنصـارًا يجعلـون منـه أحـد التيـارات البـارزة فـي الفكـر الفلسفـي العـربي المعـاصر ، كمـا هـو الـشـأن بالنسبـة للتيـارات الفلسفيـة الأخـرى ، ومـن المـؤكـد أن" زكـي نجيـب محمـود " هـو أبـرز ممثـل لهـذا التيـار فـي الوطـن العـربي ، ففـي حـديثـه عـن الإتجـاهـات الفلسفيـة التحليليـة المعـاصرة ، ومـن بينهـا الوضعيـة المنطقيـة التـي تـدعـو حسـب رأيـه إلـى الإرتكـاز إلـى العقـل وحـده ، يقـول زكـي نجيب محمـود أنـه << من أشيـاعهـا ودعـاتهـا ، ولكنـه يكـاد يكـون فـي الميـدان وحيـدًا يتكـلم لغيـر سـامع ، ويكتـب لغيـر قـارئ ، لأن الـدعـوة إلـى العقـل الصـرف لا تجـد فـي أنفسنـا صـدى >>[1] .

ولـذلك يُعَدْ زكـي نجيب محمـود الصـوت الوحيـد الذي عبـر عـن هـذا النـوع من الفلسفـة ، ومثـلهـا أحسـن تمثيـل فـي الوطن العـربي ، وعـرض أفكـارهـا ، وتبنـاها وحـاول تطبيقهـا في حيـاته الفكريـة ، فهـو يـؤكـد علـى أنـه من أنصـارهـا ، فهـو يقـول << ومـذهبـي الفلسفـي هـو فـرع من فـروع المذهـب التجـريبي ، يمكـن تسميتـه بالوضعيـة المنطقيـة أو التجـريبيـة العلميـة >>[2]. ورأى زكـي نجيـب محمـود أن هـذا المـذهب الفلسفـي هـو المـذهب الجـديـر بالإهتمـام والأخـذ ، وأنـه المـذهـب الـذي يمكـن أن يصـلح كـطريقـة فـي مجتمعنـا ، وفـي فكـرنا المعـاصـر ، لأن هـذا المـذهب هـو أكـثر المـذاهب مسـايرةً للـروح العلمـي كمـا يقـول << ولمـا كان

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، فلسفـة وفـن ، القـاهـرة : مكتبـة الأنجلـو المصـرية ، 1963 ، ص 248 .

(2)زكـي نجيـب محمـود ، المنطـق الوضعـي، ط3 ؛ القـاهرة : مكتبـة الأنجـلو المصـرية ، ج1 . 1961 المقـدمـة ، ص ج .

المذهب الوضعي بصفة عامة والوضعي المنطقي الجديد بصفة خاصة هو أقرب المذاهب الفكرية مسايرةً للروح العلمي ، كما يفهمه العلماء الذين يخلقون لنا أسباب الحضارة . . . فقد أخذت به آخذ الواثق بصدق دعواه ، وطفقت أنظر بمنظاره إلى شتى الدراسات ، فأمحو منها لنفسي ما تقتضي مبادئ المذهب أن أمحوه >>[1] . هكذا كان يرى زكي نجيب محمود ، وكان بذلك من أهم المفكرين الداعين للأخذ بالمذهب الوضعي المنطقي و المصرّحين علانيةً أنه مؤمن بهذا المذهب ، أو بهذا المنهج في التفكير ، الذي يعود في أصله إلى المذهب التجريبي ، الذي مثله في القرن السابع عشر و الثامن عشر على التوالي ، كل من " جون لوك " ، و" دافيد هيوم " ، ولقد أخذ – زكي نجيب محمود – بهذه الفلسفة ومنهجها ، وكان منهجه هو المنهج التجريبي << لقد إتخذت لنفسي من إتجاهات الفلسفة المعاصرة ، إتجاهًا هو في حقيقته منهج للتفكير ، لا مذهب يورط نفسه في مضمون فكري بذاته ، فكنت كمن وضع في يده ميزانًا يزن به ما يشاء >>[2] .

رأى زكي نجيب محمود أنه من الضروري الإعتماد على المنهج التجريبي في مجال الفكر و العلم على حدٍ سواء، فإذا اِلتزم المفكر بهذا المنهج اتجه إلى تحليل أفكاره ليرى ، هل لها أساس في الواقع أم أنها من مجال العبارات الميتافيزيقية ، ولما كان مجال تخصص – زكي نجيب محمود – هو الفكر والفلسفة رأى أن هذه الأخيرة لابد أن تكون أولى المجالات الواجب إصلاحها ، فكانت أول من حمل عليها ، وحمل بهذا المنهج على كل ما كان يسود الحياة العقلية ، رأى أنها مستمدة من القرون الوسطى ، فدعا إلى العلم ومنهاجه، وراح يطبق هذا على كل المجالات

---

(1) زكي نجيب محمود ، المنطق الوضعي ،ج1 المقدمة ص ب .

(2) زكي نجيب محمود ، مجتمع جديد أو الكارثة، ط1 ؛ القاهرة : دار الشروق ، 1978 ، ص 246 .

بـدءًا من مجـال الفلسفـة ، رافضـًا المـذاهب الميتـافيزيقيـة ، و الأنسـاق الفلسفيـة رافضـًا لمـوضوعات القـدمـاء ومنـاهجهم ، متخـذًا من هـذا النقـد طريـقًا للإصـلاح ولـهـذا فهـو يقـول << أنـا مـؤمن بالعلـم كـافر بهـذا اللغـو الذي لا يجـدي علـى أصحـابه ، ولا علـى النـاس شيـئًا ، وعنـدي أن الأمـة تـأخذ بنصيـب من العلـم ومنهجـه >>[1] . ولـهـذا عمـل علـى رفـض الميتافيزيقـا ، وتقصيـر الفلسفـة على التحليـل المنطقـي للغـة ، وفـاءًا منـه لمبـادئ الوضعيـة المنطقيـة .

---

(1) زكـي نجيب محمـود ، المنطـق الوضعـي ، ج 1 ، المقـدمـة ص د .

الفلسفة تحليل عند زكي نجيب محمود

لقد ذهبت المدرسة الوضعية المنطقية إلى التأكيد على أن الفلسفة تحليل ، وعلى أنه اِنتهى ذلك الزمن الذي كان فيه الفيلسوف يدلي بآرائه في الكون وفي الطبيعة و ما وراء الطبيعة ، وقصرت بذلك الفلسفة على تحليل اللغة ، و أن مهمة الفيلسوف هي توضيح الأفكار التي يقولها العلماء ، والتي يتناولها الناس في حياتهم اليومية ، وهذا ما أخذ به زكي نجيب محمود مادام أنه أصبح من أتباع هذا المذهب ، وهو بذلك يؤكد على هذا في معظم مؤلفاته << وبهذا كان للفلسفة مجال واحد وليس لها سواه وهو تحليل الألفاظ و العبارات تحليلاً منطقيًا ، لتمييز ما يمكن قبوله ، من أصناف القول وما لا يمكن قبوله >>[1].

لذلك كان على الفلسفة أن تجعل غايتها التحليل المنطقي ، وذلك لما يقوله العلماء ، فعلى الفيلسوف أن لا يتكلم هو بل يدع المجال للعلماء للكشف عن الحقائق ،ثم يتقدم هو لتحليل ما قد كشفه هذا العالم أو ذاك <<إن الفلسفة ينبغي أن تكون تحليلاً صرفًا ، تحليلاً لقضايا العلم بصفة خاصة >>[2]. ولهذا فإذا أريد للفلسفة بقاء – كما يرى زكي نجيب محمود متأثرًا في ذلك بالوضعية المنطقية – وجب أن تركز مهمتها الممكنة والنافعة في التحليل المنطقي للألفاظ و العبارات << ومن هنا جاءت الدعوة لأن تكون الفلسفة منهجًا بغير موضوع ، ومنهجها هو منهج التحليل، الذي يرد الفروع إلى جذوعها ، ويرد الجذوع إلى الجذور ، في ميادين العلم وغير العلم من مقومات الحياة الثقافية ، وذلك يفسر لماذا أُطلق على عصرنا بعصر التحليل >>[3] .

---

(1) زكي نجيب محمود ، قشور ولباب ،ص 221 .

(2) زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية، ط1 ؛ القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ، 1958 ، ص 16 .

(3) زكي نجيب محمود ، حصاد السنين، ط1 ؛ القاهرة : دار الشروق ، 1992، ص 202.

إذن مهمة الفلسفة هي تحليل أقوال العلماء ، تحليل يتعقب كل ما يقوله هؤلاء إلى الجذور ، وبذلك تنحصر وظيفة الفلسفة في هذا العصر العلمي في مجرد التحليل << ولما كانت مهمة الفلسفة هي تحليل القضايا العلمية فإنها تصبح بذلك منطقًا للعلم ، وذلك لأنها لا تبحث في مادة العلوم وإنما تبحث في منطقها >>[1] . ومن ثمّ لم تكن الفلسفة فنًا أو أدبًا بل الفلسفة تحليل وإيضاح ، ويضيف زكي نجيب محمود قائلاً << إن الفلسفة ينبغي أن تكون تحليلاً صرفًا ، تحليلاً لقضايا العلم بصفة خاصة لكي تضمن لها أن تساير العلم في قضاياه ، وأن تفيد في توضيح غوامض تلك القضايا دون أن تتعرض للضرب في مجاهيل الغيب >>[2]. ولهذا فالفلسفة في عصرنا هذا ، في نظر زكي نجيب محمود لن تضيف أي شيء جديد للفكر الإنساني ، بل الدور الذي تقوم به هو تحليل عبارات العلم ، وتكون الفلسفة في هذا الدور الذي أرادته لها الوضعية المنطقية وبعد ذلك زكي نجيب محمود في مجالها الحقيقي .

ولهذا << فإذا كانت الفلسفة تحليلاً لا بناءًا ، فلم يعد الفيلسوف المعاصر يحاول بناء نسق فلسفي شامخ كما كان يفعل أسلافه >>[3]، فالفيلسوف في ما مضى كان يحاول جاهدًا من أجل إيجاد المبدأ الواحد الذي إنحدرت منه أجزاء الوجود ، ولكن مع الفلسفة المعاصرة ، وبالخصوص المذهب الوضعي المنطقي ذهب عصر بناء الأنساق ، وهكذا حدثت الثورة في الفلسفة ، فلم يعد الفيلسوف كسابقه يعمل جاهدًا على وصف الوجود ، وعلى تجاوز الطبيعة إلى ما ورائها ، وعلى بناء ذلك النسق الذي يَسْعُ كل شيء ، وبقي للفيلسوف عملاً واحدًا ، وهذا العمل هو العمل المشروع الذي يتمثل في تحليل الكلام بغية توضيح معناه << وإذا سألتني ما الفلسفة بإختصار قلت إنها توضيح المعاني و الألفاظ >>[4]

---

(1) زكي نجيب محمود ، نحو فلسفة علمية، ص 65 – 66 .

(2) المصدر نفسه، ص 11 – 12 .

(3) زكي نجيب محمود ، قشور ولباب، ص 156 .

(4) المصدر نفسه، ص 159 .

فـالمهمة الأساسيـة للفلسفـة هي تنـاول الأفكار التي تُتَنَــاول في حيـاتنا اليوميـة وفي مجـال العلـم بالتحليـل الذي يحدد معـانيها تحديـدًا دقيقـًا ، وهتـه المهمـة كمـا يرى زكـي نجيب محمـود مهمـة صعبـة وخطيـرة أيضـًا ، وذلك لأن المعرفـة الدقيـقة الواضحـة في أي مجـال تعد خطـوة إلـى الأمـام من أجـل بلـوغ المعرفة العلميـة ، وهـذه المهمـة لا يمكـن أن يقـوم بهـا أي علـم من العلـوم ، لأن للعلـوم مـواضيعهـا الخـاصة ، ولذلـك كـان علـى الفلسفـة فقـط القيـام بهـذه المهمـة ، لأنـه ليس من شـأن الفيلسـوف أن يقـول شيئـًا جديـدًا عن العالم ، وليس من مهمتـه الحكـم علـى الأشيـاء ، لأن هـذا من إختصـاص العلمـاء .

إن هـذا مـاأكد عليـه زكـي نجيب محمـود في كتـابه **خـرافة الميتـافيزيقـا،** ويذهب إلـى الـرأي نفسـه في كتـابه **نحـو فلسفـة علميـة** ، فهو يقـول << إن الفيلسـوف المعـاصر ذو النزعـة العلميـة يتـرك الخبـز للخبـاز يُنْضِجُـهُ على النحـو الأكمـل ، فيترك الفلـك لعـالم الفلـك ، والطبيعـة لعـالم الطبيعـة ، و الإنسـان لعـالم النفس أو عـالم الإجتمـاع ، إنه لا شـأن له بشـيء من أشيـاء الوجـود الـواقع ، بل يحصـر نفسـه في كـلام هؤلاء العلمـاء ، ليحلل منـه مـا قد تركـوه بغيـر تحليـل ، وبخـاصة إذا كان في العبـارة لفـظ يثيـر المشكـلات ، ويكـون مـدار الإختـلاف >>(1) .

ومهمـة الفلسفـة هي الكشـف عن التراكيب التـي يستخـدمها العلمـاء في التعبيـر ، ليتبيـن هل هـي عبـارات منطـوية علـى تنـاقض ، أو عنـاصر من شـأنهـا أن تجعـل العبـارة بغيـر معنـى ، وبهـذا المعنـى تصبـح الفلسفـة هي التحليـل المنطقـي بدلاً من أن يكـون التحليـل المنطقـي جزءًا من الفلسفـة ، <<مـوضوع الفلسفـة هو تـوضيح الأفكـار توضيحـًا منطقيـًا ، هكـذا يقـول فتجنشتيـن وتقـول معـه الكثـرة الغـالبة من فـلاسفـة اليـوم ، وهكـذا نريـد أن نقـول ونـدافـع عن القـول ، وأول مـا نريد أن ننزعـه من الأذهـان هـو الإعتقـاد

---

(1) زكـــي نجيب محمـــود ، نحـو فلسفـة علميـة، ص 10 .

الباطل بأن الفلسفة لها موضوعها الخاص الذي تبحث فيه شأنها في ذلك شأن سائر العلوم ، لا بل الفلسفة تحليل للعبارات مهما يكن مصدرها ، إنها تأخذ العبارة التي تحللها من هذا العلم أو من ذاك ، بل قد تأخذها من أفواه الناس ، في حياتهم اليومية >>[1] .

وإذا أراد الفيلسوف ومن ثمّ الفلسفة ، البقاء في هذه الزحمة التي تعرفها الحياة الفكرية من علوم ، عليها ألا تجاوز دائرة التحليل اللغوي، لأن مجال العلم مقصور على العلماء ، أما عمل الفيلسوف المعاصر فهو توضيح العبارات العلمية وتحليلها تحليلاً يزيل عنها جوانب اللبس و الغموض ، هناك أفكار مثل "المكان " و "الزمان " و" السببية" ، وغيرها من الأفكار تبدو واضحة ولكنها في حقيقة الأمر هي أفكار غامضة ، وتحتاج من الفيلسوف التحليل قصد التوضيح << فمثلاً قد تسأل عن مكان دبوس فنتفق جميعًا على مكانه ، ثم نرى صورته في المرآة ، فنسأل عن مكان الدبوس ؟ عندئذٍ نعجز عن الجواب حتى نحدد أولاً معنى "مكان" >>[2] .

الفلسفة إذن لا تملك موضوعًا خاصًا بها وذلك لأنها عبارة عن طريقة عمل ، ووسيلتها في ذلك هي التحليل << الفلسفة تحليل للتوضيح فالفلسفة عندي الآن طريقة في البحث بغير موضوع ، إنها لا تبحث في مسائل لتصل إلى نتائج لأنه ليست هناك مسائل فلسفية مما تختص به . . . ولم يعد من حق الفيلسوف أن يعالج موضوعات هي من شأن العلماء وحدهم >>[3]. الفلسفة كما تصورها زكي نجيب محمود ، وكما أراد لها أن تكون – متفقًا في ذلك مع أصحاب المذهب الوضعي المنطقي – لا غاية لها سوى التحليل المنطقي ، ولا يمكن القول أن غايتها البحث في مسائل معينة بغية الوصول إلى نتائج ، لأنه ليس هناك

---

(1) زكي نجيب محمود ، موقف من الميتافيزيقا، ط4 ؛ القاهرة : دار الشروق 1993 ص 17 .

(2) أخذت هذا المثال عن زكي نجيب محمود من كتاب موقف من الميتافيزيقا ص18
Broad ,C.D,Scientific Thought , P16 .

(3)زكي نجيب محمود ، قصة نفس، ط2 ؛ القاهرة : دار الشروق1983 ، ص178.

ثمة مسائل حتى ننتظر بلوغ النتائج ، فكل مسألة من مسائل الحياة لها علم يختص بها ، لأن واجب الفلسفة الصحيح هو النقد والتحليل ، نقد وسائل التعبير ، وتحليل معاني الألفاظ << ليس للفلسفة موضوع معين ، وليس لها أن تنبئنا عن حقائق الكون ،إنما هي طريقة بغير موضوع كقولنا عن الرجل أنه وزير بدون وزارة ، فيعمل في العدل مرة وفي الدفاع مرة ، هي البحث عن معاني الألفاظ لا كما تشرحها القواميس ، بل هو بحث تحليلي له أوضاع وشروط >>[1] .

لقد كان الفيلسوف في ما مضى يقوم بدورين هما دور العالم ودور الفيلسوف ، لكن مع تقدم العلم أصبحت التخصصات العلمية واسعة ، فلم يبق بذلك شيئًا للفيلسوف سوى التحليل المنطقي ، يقول زكي نجيب محمود عن الفلسفة ما يلي << لقد جئت والفكرة عندي عن الفلسفة أنها عميقة بغموضها ، وأحسبني سأعود وقد تغيرت هذه الفكرة عنها فتصبح الفلسفة عميقة بوضوحها . . . إن نظرتي إليها آخذة في التحول ، وأول مراحل هذا التحول أني قد أصبحت على رأي بأن الفلسفة تحليل للتوضيح >>[2] .

بهذا الدور الذي حُصِرَتْ فيه الفلسفة مع الوضعية المنطقية وأتباعها وعلى رأسهم زكي نجيب محمود، وجب الإنتقال من مجال الإهتمام بتحديد موضوعات فلسفية إلى تحليل اللغة الفلسفية ، ولقد كان زكي نجيب محمود يريد أن يجعل من الفلسفة تحليلاً منطقيًا لقضايا العلوم، وعبارات التفاهم في الحياة اليومية ، لأن بهذا التحليل يستطيع الفيلسوف أن يضع أصابعنا على المبادئ التي لا تظهر وهذا ما أراد تطبيقه زكي نجيب على الفكر العربي ، ولكنه يُقِرْ على أن النظرة الجديدة للفلسفة لن تجد عند عقولنا المفكرة إلاّ الرفض فهو يقول<<إنني

---

(1) زكي نجيب محمود ، شروق من الغرب، ط2؛ القاهرة : دار الشروق 1983 ، ص 178 .

(2) زكي نجيب محمود ، قصة نفس ، ص212 .

على يقين من أن نظرة كهذه إلى الفلسفة لن تجد عندنا إلاّ الصدود لا لشيء إلاّ لأنها تعفي الفلاسفة من الخوض فيما لا سبيل لديهم إلى العلم به لأن إرسال الكلام أمر هين >>[1] .

(1) زكي نجيب محمود ، قصة نفس ، ص 178 .

يقول زكي نجيب محمود << إن معنى القضية وكيفية إثبات صدقها شيء واحد ، فما يستحيل علينا أن نثبت صدقه من القضايا لا يكون ذا معنى على الإطلاق ، إننا إذا سألنا ما معنى هذه العبارة ؟ كان سؤالنا معناه بصيغة أخرى ، كيف يمكن أن نحقق هذه العبارة >>(1) . هكذا إذن فزكي نجيب محمود يعطي أهمية كبيرة لمبدأ التحقق كما فعل أصحاب المذهب الوضعي المنطقي ، وتعود أهمية هذا المبدأ إلى كونه يعطي للقضية المعنى فالقضية التي يمكن التحقق منها ، حتى لو كانت هذه القضية كاذبة فهي قضية ذات معنى ، أما القضية التي لا يمكننا التحقق منها فهي قضية خالية من المعنى ، وهي لا تصل حتى إلى مستوى أن تكون فيه كاذبة ، ولذلك فالقضية التي لا يمكننا التحقق منها من خلال هذا المبدأ فهي ليست بقضية ، بل هي شبه قضية ، ويميز زكي نجيب محمود بين نوعين من القضايا وذلك تماشيًا مع مبادئ مذهبه الوضعي المنطقي ، فهو يقول << إن مبادئ المذهب الوضعي المنطقي أن يفرق بين القضية التحليلية كقضايا الرياضة ، والقضية التركيبية كقضايا العلوم الطبيعية ، ليجعل لكلٍ منها معيارًا للصدق يختلف عن معيار الأخرى >>(2)

فالقضايا التركيبية حسب رأيه يمكن التحقق منها عن طريق الحواس كالقضية التالية " الحديد يتمدد بالحرارة " فهذه القضية يمكننا التحقق منها عن طريق الواقع أما القضايا التحليلية فلا يمكن التحقق منها بنفس الطريقة التي نفعلها مع القضايا التركيبية ، وذلك لأن القضايا التحليلية نتحقق منها من خلال التأكد من عدم تناقض مقدماتها مع النتيجة .

---

(1) زكي نجيب محمود ، المنطق الوضعي ، ج2 ، ص 17 .

(2) زكي نجيب محمود ، موقف من الميتافيزيقا ، ص 195 .

ويرى زكي نجيب محمود أنه ينبغي أن نتحقق من جميع القضايا التركيبية بالإعتماد على الخبرة الحسية ، وكل قضية يمكن القول عنها أنها تركيبية ولا يمكننا التحقق من صدقها فهي قضية بلا معنى ، ويفرق زكي نجيب محمود بين ثلاث أنواع من الإستحالة هي :

أولاً **إستحالة فنية :** وتكون هذه الإستحالة ناجمة عن عدم قدرة الأدوات التي عندنا من التحقق من القضية التي بينا أيدينا ، ويرى زكي نجيب أن هذا النوع من الإستحالة يختلف بإختلاف التطور و التقدم العلمي .
ثانيًا :**إستحالة تجريبية :** وهي التي تناقض قانونًا من قوانين الطبيعية كقولنا مثلاً " طيران الطائرة في خلاء لا هواء فيه " .
ثالثًا : **إستحالة منطقية :** وهذه تعني إجتماع النقيضين ، فمثلاً قولي " أنني أحس بوجع ضرسك فهذا مستحيل اِستحالة منطقية[1] .

غير أن مسالة التحقق بالنسبة للقضايا التركيبية البسيطة تكون سهلة أما بالنسبة للقضايا المعقدة فلا يمكن التحقق منها بالعودة إلى الحواس ، وهنا زكي نجيب محمود يذهب إلى نفس الرأي الذي ذهب إليه "آير" فيما يخص التحقق من القضايا التركيبية الكلية ، وقضايا التاريخ وذلك بالرجوع إلى التحقق غير المباشر ويكون ذلك عن طريق الاستعانة بقضايا تركيبية بسيطة كنا قد تحققنا منها سابقًا .

---

(1) زكي نجيب محمود ، موقف من الميتافيزيقا، ص 89 – 90 .

رفـــض مــوضــوعـــات الميتــافيزيقـــا

لمـا كـان زكـي نجيـب محمـود قـد أعلن صـراحة في العديـد من مـؤلفـاته أنه من أنصـار المذهب الوضعـي المنطقـي ، وأنـه يـؤمن بـالعلـم ، وبـالإتجـاه التجريبـي ، وأكـد علـى أن الفلسفـة تحليـل كمـا أراد لهـا فلاسفـة الوضعيـة المنطقيـة ، فـإنه ذهـب بعـد ذلك إلـى رفـض الميتـافيزيقـا ، وذلك تطبيقًـا منه لمبـادئ مذهبـه الجـديد ، حتـى أنـه خصـص مـؤلفًـا ليبيـن أنـهـا مجـرد لغـو، وكـلام فـارغ من المعنـى ، فكـان مـؤلفـه **خــرافة الميتافيـزيقا** الذي عـرض فيـه مـوقفـه من هـذا الركـن الهـام في الفلسفـة كلهـا – عـدا الفلسفـة الوضعيـة سـواء كـانت الوضعيـة الكلاسيكيـة أو الوضعية المنطقية – وبذلك فهـو يقف موقف الرافض لهـذا الركـن ، فهـو يقـول في كتابه <u>المنطـق الوضعـي</u> << وكالهـرة التي أكلت بنيهـا جعلـت الميتـافيزيقا أول صيـدي ، جعلتهـا أول مـا أنظر إليه بمنظـار الوضعيـة المنطقيـة ، لأجـدها كـلامًـا فـارغًـا لا يرتفـع إلـى أن يكون كذبًـا ، لأن ما يـوصف بالكذب كـلام يتصـوره العقـل ، ولكـن تدحضـه التجـربة . . . أما الميتـافيزيقـا فهي رمـوز سوداء تمـلء الصفحـات بغيـر مدلـول ، وإنمـا يحتـاج الأمر إلـى تحليل منطقـي يكشـف عن هذه الحقيقـة >>[1].

إذن هكـذا رأى زكـي نجيـب محمود الميتـافيزيقا مـادام أنه نصيـر الوضعيـة المنطقيـة ، فـالميتـافيزيقا هي لغـو ، ولما كـانت الفلسفـة تحليـل للألفـاظ و العبـارات ، وجـب التفرقة بينهمـا ، فـإذا كـانت الفلسفـة وبهـذا المعنـى الذي أعطتهـا إيـاه الوضعيـة المنطقية ومن بعـدها زكـي نجيـب ، مقبـولة وضـرورية في الحيـاة الفكـرية ، فـإن الميتـافيزيقا هـي بحـث في شيء

---

(1) زكــــي نجيـب محمــود ، <u>المنطــق الوضعـــي</u> ،ج1 ، المقــدمة ص د .

غيـر مـوجود أو هـي بحـث مـاورائــي بنـاءًا علـى ذلـك << وجـب حذفهـا من دائـرة المعـارف الإنسـانية لأنهـا لا هـي مـزودة بـأدوات المشـاهدة التـي تمكنهـا من الحكـم علـى الأشيـاء ، ولا هـي اِرتضـت لنفسهـا أن تسمـع مـا يقـولـه المؤهلـون لذلك مكتفيـة بتـوضيحه وفهمـه >>[1] .

لقد جـرى العرف أن تطلـق كلمـة فلسفـة علـى عدة مـواضيع مختلفـة ، ولكـن هذه المـواضيع يمكـن تبويبهـا أو تصنيفهـا فـي صنفين همـا مـواضيـع تحليليـة وأخـرى تـركيبيـة ، فالأولـى من صنف الريـاضيات والمنطق ، والثـانية من صنـف العلوم الطبيعيـة ، ولمـا كانت أي عبـارة تـوصف بالصـدق أو الكـذب لا يمكـن أن تخـرج عن هـذين النوعيـن ، فـإنه لا يمكـن أن تكـون الميتـافيزيقـا من صنـف هـذه العبـارات ، فـالميتـافيزيقي لا يقـول كـلام يمكـن وصفـه بالصـدق أو الكـذب << فهـل يقـول لنـا الميتـافيـزيقي إذن عبـارات تحليليـة كهـذه التـي يقـولها الريـاضي ؟ لـو كـان أمره كذلـك ، لقيـل في كـلامه مـا يقـال في القضـايا الريـاضيـة . . . لكـن أمـر الميتـافيزيقي ليـس كذلـك فلا هـو يقـول عبـارات تركيبيـة ، ولا عبـارات تحليليـة ،فهو يقـول كـلام فـارغ لا يحمـل معنـى>>[2] .

كـلام الميتـافيزيقي فـارغ من الدلالـة ، وخـالٍ من المعنـى لأن مـا يقـولـه هـو كلام عـن الحقـائق الغيبيـة ، ولــو حللنـا هذه العبــارات لوجدنـاها فـارغة، وهـذا الخلــو من المعنـى عـائـد في حقيقـة الأمـر إلـى سـوء اِستخـدام اللغـة كمـا يذهـب إلـى ذلك زكـي نجيـب محمـود ، وذلـك في كتـابه خـرافة الميتـافيزيقا فهـذه الألفـاظ التـي من قبيـل " المطـلق" ، "العـدم" ، "الوجـود"، "الخيـر" . . . إلى غيـر ذلك هـي ألفـاظ خـالية من المعنـى ، ولقـد نشـأت من النـظر الخـاطئ للغــة ، وهذا الخـلط حسب زكـي نجيب محمـود كـان نتيجـة عجـز العقـول عـن فهـم اللغـة وتـراكيبهـا ، وهـذا أدى في النهـاية إلـى نشـأة الأسـئلة الميتـافيزيقية التـي لا وجـود لهـا في الأسـاس ، غير أنـه بالتحليـل

---

(1) زكــي نجيب محمـود ، مـوقف من الميتــافيزيقـا، ص 21 .

(2) المصــدر نفســه ص 81 .

المنطقي للغة يمكننا القضاء على مثل هذه الأسئلة الميتافيزيقية ، ويبين زكي نجيب محمود أن ألفاظ وعبارات الميتافيزيقا هي أشباه ألفاظ وأشباه عبارات ، ولهذا وجب حذفها من مجال البحث الفلسفي ، فأعلن صراحة عن هذا ، وأكد على وجوب رفضها لأنها تتحدث عن شيء غير موجود في الواقع ، وذهب إلى نفس الرأي الذي رآه "هيوم " في القرن الثامن عشر ، بضرورة رمي كل ما ليس بعلم إلى ألسنة النار ، إذ يقول زكي نجيب محمود << ومادامت الميتافيزيقا كلامًا فارغًا . . . فماذا نحن صانعون بهذه الأسفار الضخمة التي تراكمت لدينا على مرِّ القرون ، مما كتبه الميتافيزيقيون ؟ إنه لعزيز علي وعليك أن تلقي بهذه الأسفار كما كان ينبغي لها طعامًا لألسنة النار ، أو أثقالاً في قاع المحيط ، وإذن فلنبق عليها ليقرأها القارئ إذا أخذه الحنين إلى الماضي كما يقرأ أساطير الأولين >>[1] .

الميتافيزيقا إذن هي عبارة عن أقوال لا وجود لها في الواقع ، ولا يمكن بذلك التثبت منها ، ولذلك فإن كل قول من هذا القبيل هو كلام فارغ لا يعالج أي شيء على الإطلاق ، وبناءًا على ذلك لم يعد للميتافيزيقا مكانًا في ميدان الفلسفة هذا ما يؤكد عليه زكي نجيب محمود في معظم مؤلفاته فهو يقول في كتابه شروق من الغرب << إن الميتافيزيقا أسطورة من أساطير الأولين . . . وهنا تأتي قصة القطة السوداء ، فقد قيل عن الفيلسوف الذي يجعل همه مثل هذا البحث العقيم، أنه رجل أعمى يبحث في غرفة مظلمة عن قطة سوداء لا وجود لها >>[2] هكذا إذن فالميتافيزيقا كلام لا يحمل معنى ولذلك وجب الإستغناء عنها ولا يجوز البحث فيها واختلاف الرأي حول أشياء لا وجود لها وإذا أردنا أن يكون لكلامنا معنى علينا بحذف الميتافيزيقا ، وهكذا لا يبقى للفيلسوف سوى العلوم الطبيعية والرياضيات .

---

(1) زكي نجيب محمود ، قشور ولباب، ص 169 – 170 .

(2) زكي نجيب محمود ، شروق من الغرب، ص 302 .

التـي يجـب البحـث فيهـا ، وتحليـل عبـاراتهـا تحليـلاً منطقيًا .

<< ولذلـك علينـا بحـذف الميتـافيزيقا من مجـال الكـلام المشـروع لأن التحليـل – تحليـل عبـاراتهـا الرئـيسيـة – تحليـلاً منطقيًا قد بيـن أنـهـا عبـارات خـالية من المعنـى ، أي أنهـا ليسـت بذات مـدلـول حتـى نصفهـا بالصـواب أو بالخطـأ >>[1] ، يقـول زكـي نجيب محمـود في كتـابه موقف من الميتافيـزيقا، الذي هـو طبعـة ثـانية لخـرافـة الميتـافيزيقـا أن الغـاية الرئـيـسية من هـذا الكتـاب هي تبيـان أن العبـارات الميتـافيزيقيـة هي عبـارات خـالية من المعنـى وذلـك لأن مبـاحث الميتـافيزيقـا لا يمكـن إدراكهـا بحـاسة من الحـواس ، ومن بيـن هـذه المسـائل التـي تحتـل حيـزًا كبيـرًا من تفكيـر الفـلاسفـة ، الخيـر والجمـال ، وبهـذا كـان الخيـر والجمـال من المـواضيع الميتـافيزيقيـة التـي يـرفضهـا زكـي نجيـب محمـود ، فهـو يقـول << ولذلك فنحـن نجعـل العبـارات التـي تتحـدث عن الخيـر والجمـال فـي زمـرة الميتـافيزيقـا التـي حددنـاه لهـا ، ولذلـك فـإننـا نـرى العبـارات التـي تتحـدث عن هـاتيـن القيمتيـن خـالية من المعنـى ، ولا تـصلـح لأن تكـون علمًا ولا جـزءًا من علـم >>[2] .

إن السبـب الذي يجعـل من العبـارات سـواء الأخـلاقية أو الجمـالية خـالية من المعنـى هـو أنهـا عبـارات لا يمكـن وصفهـا بالصـدق أو الكـذب ، والقضـايا ذات المعنـى هـي إمـا تحليليـة أو تـركيبيـة ، ومـاعـدا ذلـك فهـي عبـارات خـالية من المعنـى << الذي نـريد أن نقـرره هـو أن الجمـلة الأخـلاقيـة أو الجمـالية ، أي الجمـلة الـتي من قبيـل قـول القـائـل عـن شـيء مـا أنـه خيـر ، أو أنـه جميـل هـي عبـارة بغيـر معنـى . . . أي بغيـر واقعـة خـارجيـة تكـون من العبـارة بمثـابة الأصـل من صـورتـه ، يـرجع إليـه للنـظر إن كـانت الصـورة صحيحـة أو غيـر صحيحـة >>[3] .

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، حيـاة الفكـر فـي العـالم الجـديد ، ص 238 .

(2) زكـي نجيـب محمـود ، مـوقف من الميتـافيزيقـا ، ص 110 .

(3) المصـــدر نفســه، ص 119 – 120 .

بعد أن بين زكي نجيب محمود كيف أن العبارات الأخلاقية و الجمالية، عبارات لا يمكن التحقق منها وذلك بالرجوع إلى الواقع لأنه لا يوجد شيء إسمه جميل ولا يوجد شيء إسمه خيّر ، بل توجد أشياء نحكم عليها بالجمال وأخرى بالخيّرية ، يذهب بعد ذلك إلى إستبعاد الأخلاق و الجمال من مجال العلم فهو يقول << الجملة الأخلاقية أو الجمالية ليست بذات معنى ، ولذلك فهي لا تصلح أن تكون جزءًا من علم لأن الشرط الأساسي الذي يجب أن يتوافر في أية قضية علمية ، هو إمكان التحقق من صدقها ، ولا يكون هذا التحقق ممكنًا إلاّ إذا كان المعنى موضوعيًا يشترك فيه الناس جميعًا >>[1] .

والأخلاق والجمال كما هو معروف هي عبارة عن أحكام ذاتية ولذلك حسب زكي نجيب محمود – الذي يتبع في هذه النقطة كما فعلى في جميع المبادئ ، الوضعية المنطقية – يرى أن العبارة الأخلاقية أو الجمالية هي تعبير عن حالة شعورية خاصة بفرد معين ، ولهذا فهي ليست عبارات علمية ، بل عبارات ميتافيزيقية وجب حذفها من دائرة البحث .

كان هدف زكي نجيب محمود من نقده ، ورفضه للميتافيزيقا ، هو نقد الواقع الذي وصل إليه الوطن العربي آنذاك ، نقد ما ساد من إستهتار في جانب التفكير والتعبير ، فكان هدفه من رفض الميتافيزيقا ، هو رفض كل فكرة لا أساس لها في الواقع ، يمكن بعد ذلك العودة إليه – الواقع – لإختبار تلك الفكرة إذا كانت صادقة أو كاذبة ، ورأى زكي نجيب أن مواضيع الميتافيزيقا رغم أنها بعيدة عن الواقع ، وأقرب إلى الأوهام والخرافات إلاّ أن المفكرين في الوطن العربي يهتمون بها ، وبالبحث فيها ومن هنا كانت ثورته على تلك المواضيع التي صرفت ولازالت تصرف ذهن المفكر العربي عن التفكير والبحث في مشكلات

---

(1) زكـي نجيب محمـود ، موقف من الميتافيزيقا، ص 123 .

عصـره ، ليتحـدث عن أوهـام لا تـربطه بالـواقع الـذي يعيـش فيـه .

وكـان هدف زكـي نجيـب محمـود من هـدم الميتـافيـزيقـا هـو الإقتصـار في المعـرفة علـى المنهـج التجـريبي ، والتـأكيـد علـى أن الطـريق الصحيـح الـذي يجـب أن تسيـر عليـه الأمـة العـربيـة في تفكيـرهـا هـو طـريق العلـم ، والمنهـج الـواجب إتبـاعه هـو المنهـج الـوضعـي المنطقـي فهـو يقـول << وإذا كـانت الميتـافيزيقـا هـدف النقـد والهـدم ، فمـا ذلـك إلاّ لنضـع منـوالاً أمـام القـارئ ينسـج عليـه عبـاراته ، ومقيـاسًا يميـز بـه مـا يصـلح أن يكـون قـولاً عمليـًا مقبـولاً >>[1] .

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، مـوقف من الميتـافيـزيقـا، المقـدمة ص د .

الفصل الثالث :

أثر المنهج الوضعي المنطقي في دراسات

زكي نجيب محمود

لقـد عـاد زكـي نجيب محمـود مـن دراستــه فـي أوربـا وفــي ذهنـه فكــرة واحـدة ، وهــي أن الأمـة العــربيـة لـن يقـوم لهــا مقـام إلاّ بــإتبـاع خطـوتيـن أسـاسيتيــن ، ورأى أنــه الكفيـل بتحقيــق هـذه المهمــة ، كمـا كـان يفعـل كبـار الفـلاسفـة عبـر التـاريـخ ، وأولـى هـاتيـن الخطـوتيـن هـي الهـدم ثـم تـأتــي بعـد ذلـك مـرحلـة البنـاء ، أو إعــادة بنــاء مـا تـم هـدمـه ، فبيكـون علـى سبيـل المثـال ، أقـام فلسفتـه علـى هـذه الطـريقـة ، وهكـذا رأى زكـي نجيـب محمـود أنـه لابـد من خطـوة أولـى يقـوم بهـا تكـون بهـدم وتحطيـم كـل مـا هـو بمثــابة الأصنـام في حيـاتنا الفكـرية و الثقــافية .

كـانت الخـطوة الأولـى التـي قـام بهـا زكـي نجيـب محمـود هـي التـي يمكـن أن نطـلق عليهـا اِسم مـرحــلة رفـض التـراث بكـل مـا يحتـويه ، معتقـدًا أنــه لم يعــد صــالحـًا لتحقيـق التقـدم والتطــور المنشـود، ثـم تـأتـي الخـطوة الثـانيـة وهـي الـتـي تتمثـل فـي إعـادة بنـاء مـا تـم هـدمـه مـن قبـل ، وهـذا البنـاء فـي نـظر زكـي نجيـب محمـود يكـون بـإستحـداث منهـج بـديـل ، يكـون طـريقنـا للتقـدم ، وهـذا المنهـج هـو منهـج العلـوم بصـفة عـامة والمنهـج الوضعـي المنطقـي بصفـة خـاصة .

هكـذا إذن كـانت الخـطوة الأولـى التـي قـام بهـا زكـي نجيـب محمـود فـي بنـائه الفكـري الجـديد هـي الإنصـراف عـن المـاضـي بعلـومه وأفكـاره ، ليستبـدل التـراث وعلـومه بعلـوم الحـاضـر ، وهـي العلـوم الطبيعيـة وذلـك لأن مشكـلات الأمـس ليسـت هـي مشكـلاتنـا اليـوم . وإذا كـانت هـذه هـي

الخطوة الأولى التي رآها زكي نجيب محمود الواجبة التنفيذ فإن الخطوة الثانية في نظره التي يجب إتباعها لتحقيق التقدم ، هي تغيير المنهج ، وذلك بإعتماد منهج آخر يناسب العصر الذي نعيش فيه ، وهذا المنهج هو منهج العلوم الطبيعية ، وهو الذي كان سببًا في تقدم الغرب .

وهكذا أقام زكي نجيب محمود حملته من أجل مواجهة كل ما كان سائدًا في الحياة العقلية العربية ، رأى أنها مستمدة من القرون الوسطى ، والتي كان مناخها الفكري سببًا أو عائقًا في أن يبلغ العرب التقدم الذي بلغه غيرهم ، وراح يدعو إلى ضرورة الأخذ بالمذهب الوضعي المنطقي ، من أجل إرساء قواعد العلم .

مســـــــألـة التـــــراث

تعـد مسـألة التـراث مـن أهـم المسـائـل التـي شغـلت الطبقـة المثقفـة ، فـي الوطـن العـربي ، ولقـد كـان التـراث ولا يـزال يـأخـذ حيـزًا كبيـرًا مـن تفكيـر هـؤلاء ، فهـو – التـراث – محـط اهتمـام جـل المفكـرين العـرب ، سـواء الـداعيـن إلـى العـودة إلـى هـذا التـراث والأخـذ منـه ، أو الداعيـن إلـى رفضـه وتجـاوزه ، واستبـداله بعلـوم أخـرى هـي علـوم الغـرب .

ولـهـذا كـانت هنـاك نـزعـات مختلفـة فهنـاك النـزعـة السلفيـة وهـم مـن اعتبـروا تـراث الأسـلاف أمـرًا مقـدسًا لا يُمَسْ ، وأنـه مـازال يحمـل قيمـة بـالنسبـة إلـى عصـرنـا هـذا ، وفـي مقـابل هـذا كـان هنـاك رأي آخـر ، أو مجـموعة أخـرى من المفكـريـن تشـربت مـن علـوم وثقـافة الغـرب،اعتبـروا التـراث لـم يعد بـإمكـانه أن يكـون سـلاحنـا للتقـدم والتحضـر ، ويعـد "سـلامـة مـوسى" من الـذيـن رأوا هـذا الـرأي ، وذلـك فـي المـراحـل الأولـى من حيـاته الفكـرية ، فهـذا الأخيـر دعـا إلـى استبدال الحـروف العـربيـة بالأجنبيـة ، فهـو يقـول << الـواقع أن اقتـراح الخـط اللاتينـي هـو وثبـة إلـى المستقبـل ، لـو أننـا عملنـا بـه لأستطعنـا أن ننقـل مصـر إلـى مقـام تـركيـا ، التـي أغلـق هـذا الخـط أبـواب مـاضيـهـا ، وفتـح لهـا أبـواب مستقبلـهـا >>[1].

كمـا رأى أصحـاب هـذا الإتجـاه أن التـراث والـذي يمثـل إنتاج المـاضـي، يجـب القفـز عليـه حتـى يمكننـا أن نقفـز علـى التخـلف الـذي يعـانيـه المجتمع العـربـي .

وبيـن هـذا وذاك كـان لـزكـي نجيب محمـود مـوقف مـن التـراث ، ولكـن مـوقفه من التـراث العـربي الإسـلامـي كـان بيـن مـدٍ وجـزر إن صـح التعبيـر

---

(1) سـلامـة مـوسى ، البـلاغـة العصـرية واللغـة العـربيـة ، مصـر ، 1945 ص 137 – 138 .

فهو فـي مـرحـلة معينـة ، وهـي مـرحـلة الوضعيـة المنطقيـة رأى أن هـذا التـراث قـد فقـد مكـانته ، ولـم يعـد ذا أهميـة فـي حيـاتنـا الفكـرية وذهـب إلـى رفضـه ، كمـا قـدم عـدة مبـررات وأسبـاب لـرفضـه لهـذا الـتراث ، وفـي مـرحـلة أخـرى رأى أنـه يمكـن الإستفـادة منـه وذلـك من خـلال وقفـات الأسـلاف العقـلية ، وهـذا مـا سنبينـه فـي الخطـوات التـي سنـدرسهـا لاحقًـا .

زكـي نجيـب محمــود الـوضعي المنطقــي ورفـــض التـــراث

يـرى زكـي نجيـب محمـود أن التـراث العـربي الإسـلامـي الـذي ورثنـاه عــن الأسـلاف ، قد فقد مكـانتـه بالنسبـة إلـى عصـرنـا هـذا << لأنـه يـدور علـى محـور العـلاقـة بين الإنسـان و اللـه ، علـى حيـن أن مـا نلتمسـه اليـوم فـي لهفـة مـؤرقـة ، هـو محـور تـدور عليـه العـلاقـة بيـن الإنسـان والإنسـان >>[1]

مـا نفهمـه من هـذا القـول هـو أن التـراث العـربي الإسـلامـي قد أصبـح عـديم الفـائـدة ، وذلـك فـي وقتنـا الحـالي ، وهـذا راجـع إلـى الإختـلافـات الكبيـرة بيـن اِهتمـامات الإنسـان العـربي فـي القـديم ، أو اِهتمـامـات الأسـلاف و التـي جسـدوهـا فـي هـذا التـراث ، واِهتمـامات الإنسـان العـربي المعـاصـر ، فـإذا كـانت مثـلاً مسـألـة "صـفـات اللـه" ، أو مسـألـة "خـلق القـرآن"، أو مسـألـة "قـدم العـالم" أو غيـرهـا من المسـائـل قـد شغـلت المتكلميــن والفـلاسفـة علـى حـدٍ سـواء، فـإن المفكـر العـربي فـي وقتنـا الـراهـن ، ومـن ورائـه الإنسـان العـربـي المعـاصـر ، لـم تعـد هـذه المسـائـل مـن أولـويـاته للبحـث فيـهـا ، بـل أصبـح عليـه البحـث فـي مسـائـل أخـرى ، كـالبحـث فـي كيفيـة اللحـاق بـالـركـب الحضـاري ، و البحـث فـي منجـزات العـلم المعـاصـر .

ويـذهـب زكـي نجيـب محمـود إلـى التـأكيـد علـى ضـرورة تـرك التـراث وشـأنه فهـو يقـول << إن دراستنـا للتـراث دراسـة واعيـة ، تنتهـي بنـا هـي نفسهـا إلـى تـرك مـادة التـراث ، مـن حيـث هـي مضمـون فكـري بـذاتـه وخصـائـصـه >> [2] .

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، تجـديـد الفكـر العـربي، ط4؛ بيـروت : دار الشـروق ، 1978 ، ص 110 .

(2)زكـي نجيـب محمـود ، المعقـول واللامعقـول فـي تـراثنـا الفكـري، ط2 ؛ بيـروت : دار الشـروق ، 1974 ، ص 234 .

إن هذا الموروث الثقافي في نظر زكي نجيب محمود ، قد فقد قيمته لأنه مجرد شروح وتعاليق << بإستثناء أصول قليلة جدًا فيها أصالة وإبتكار ، هناك هذه الألوف من المجلدات التي لا تضيف حرفًا واحدًا جديدًا فهي شروح ، وشروح الشروح ، وتعليق على تعليق>>[1].

ولهذا رأى زكي نجيب محمود أن اِكتفاء المفكرين العرب باستمداد فكرهم من كتب التراث قد يجعل البعض منا يعتقد أن العودة إلى الماضي ، هي سبيل التقدم ، لكن هذا غير صحيح والواقع يثبت ذلك، فإذا نظرنا إلى ما حولنا نجد أن الغرب يتقدم يومًا بعد يوم ، وذلك لإهتمامه بما هو حوله ، أي اِهتمامه بالحاضر و المستقبل ، أما المجتمع العربي فإنه يتخلف يومًا بعد يوم وذلك لأنه منصرف عن ما هو حاضر ، ومنهمك في إعادة تكرار ما وصل إليه الأقدمون من علم ومعرفة .

ويرجع زكي نجيب محمود تخلفنا الفكري إلى العودة إلى التراث، فهو يقول << وأني لأزعم أن إحدى العلل الكبرى التي قيدت اِنطلاقتنا الفكرية نحو أن نبدع فكرًا جديدًا مع المبدعين ، هي أننا إذ اِكتفينا في معظم الحالات ، بحفظ ما كتبه الآخرون من الماضي ، فدارت بنا الحياة فأفلتت منا حقائق الأشياء ، وأصبحنا كمن يعيش في ضلالها >> [2] .

إن سبب رفض التراث كما رأى زكي نجيب محمود ،هو أن حياتنا اليوم وما تحويه من مشاكل ، لم يعد في وسعنا معالجتها بما ورثناه من قيم ، وذلك لسبب بسيط وهو أن هته المشاكل ليست هي نفسها التي واجهت الأسلاف .

---

(1) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي، ص 55 – 56 .

(2) زكي نجيب محمود ، بذور وجذور، ط1 ؛ القاهرة : دار الشروق ، 1990 ص 116.

ولهذا فهو يؤكد على أنه يجب علينا أن نستوعب فكرة ذات أهمية كبيرة ، وهي أننا في تحول ، والعالم من حولنا يتغير هو الآخر ، ولذلك لا يمكن أن تكون هناك سلطة للماضي على الحاضر .

ويقوم زكي نجيب بمحاولة الإجابة عن سبب تخلفنا الثقافي ، ويخلص في النهاية إلى الجواب الآتي << ذهبت قدرتنا على خلق الفكر الجديد ، وإكتفينا بتبعية تقتفي أثر الأقدمين ، في محاكاة بليدة عاجزة >> [1].

لقد بلغت أوربا ما بلغته من تقدم لأنها اِتجهت إلى دراسة الواقع المحسوس ، وملاحظة الطبيعة ، بينما في مجتمعاتنا العربية فإن مفكريها ذهبوا إلى قراءة ما كتبه الأولون ، وما توصل إليه الأقدمون من أسلافنا هذا ما يراه زكي نجيب محمود ، ولهذا فهو يقول<<لماذا تقدمت أوربا بعد تخلف ، وتخلفنا بعد تقدم ؟ . . . لقد حاولت أوربا منذ نهضتها أن تقف الوقفة العلمية التي تبتكر بها كل يوم حقيقة جديدة ، بينما اِتجهنا نحن خلال الفترة نفسها نحو الماضي نبدي في نصوصه المكتوبة ونعيد >> [2].

إن تعلقنا الكبير بتراثنا وإعادتنا إليه ، وانصرافنا عن العلم الحقيقي هو ما جعلنا نتخلف بهذا القدر الذي نحن فيه ، هكذا إذن كانت نظرة زكي نجيب محمود ، التي لا تخلو من ذلك التأثر العميق بعلوم الغرب و إنتاجا ته . حتى أنه تمنّى يومًا من الأيام – كما أورد ذلك في كتابه شروق من الغرب – أن نبتر التراث ونقطع الصلة به نهائيًا ، وأنه لا يكون لنا خلاص من ذلك التخلف الثقافي إلاّ إذا كتبنا من اليسار إلى اليمن ، وأكلنا كما يأكلون [3].

---

(1) زكي نجيب محمود ، هذا العصر وثقافته، ط2 ؛ القاهرة : دار الشروق ، 1982 ، ص 56 .

(2)المصدر نفسه، ص 56 .

(3)زكي نجيب محمود ، شروق من الغرب، ص 20 .

ولما كان همّ كل مفكر عربي ، هو تشخيص الداء الذي تعاني منه الأمة العربية في مجالها الفكري والثقافي حتى يُتَمَكَنْ فيما بعد من وصف العلاج المناسب ، راح كل واحد من هؤلاء المفكرين يشخص الحالة ، ويبرز الصعوبات التي حالت دون اللحاق بالركب الحضاري ، وإذا أخذنا مثلاً " مالك بن نبي" فإن هذا الأخير كان له رأيه الخاص في هذه المسألة ، فهو يرى أن هناك صعوبات حالت دون بلوغنا التقدم. ومن بين هذه الصعوبات نجد الخلل في عالم الأفكار ، فهذا الخلل ينشأ عادةً من الخطأ في تحديد المفاهيم ، أو في عدم ربط الأفكار بالطرق الصحيحة ، وهذا ما نجده بكثرة في الأمة العربية [1].

وبعد تشخيص الداء يذهب مالك بن نبي إلى وصف العلاج الذي رآه مناسبًا ، وإذا كان زكي نجيب محمود رأى أن العلاج يكون بالاتجاه إلى علوم الغرب ، وقطع الصلة نهائيًا بالتراث ، فإن مالك بن نبي يرى أن أول شيء يجب القيام به ، ليس رفض كل المركب الثقافي لأمتنا ، بل تصفية هذا المركب من الأشياء التي لم تعد ذات فائدة ، فهو يقول << ومن أول واجباتنا تصفية عاداتنا وتقاليدنا وإطارنا الخلقي ، والاجتماعي مما فيه من عوامل قتّالة ورمَمٍ لا فائدة منها ، حتى يصفو الجو للعوامل الحية الداعية إلى الحياة >>[2]

ويقوم زكي نجيب محمود بإجراء مقارنة بين ما شهدته أوربا من أعلام ، وأعمال علمية ، وما عرفته الأمة العربية هي الأخرى من إنتاج ثقافي ، وذلك في كتابه هذا العصر وثقافته ، فيرى أن أوربا عرفت فلاسفة وعلماء << من طراز جاليلو ونيوتن وديكارت وبيكون. . . وعشرات غيرهم ممن أقاموا لسلطان العقل عروشه ، ثم

---

(1) مالك بن نبي ، تأملات (مشكلات الحضارة)، ط5 ؛ دمشق سوريا : دار الفكر ، 1991 ، ص23 .

(2) مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة، تر : عبد الصبور شاهين ، ط4؛ دمشق : دار الفكر ، ص 71 .

وجدنا هنا من الأعلام ، رجالاً من أمثال محمد المشهدي ،محمد بن عنان ، وإبراهيم الميموني إلخ ممن جعلوا سلامة الامتياز مقدار ما حفظوه ، وما شرحوه >>[1] .

هكذا إذن انصرف علماء أوربا إلى دراسة الطبيعة ، التي قال عنها "جليلو" ذات يوم أنها كتاب مفتوح ، وأعطوا للعقل القيمة الكبرى، بينما في أمتنا العربية اتجه مفكروها إلى إعادة قراءة ما وجدوه عند أسلافهم ، وتكرار ما توصّل إليه الأسلاف من علم ومعرفة ضنّنًا منهم أنه بإعادة تكرار التراث نبلغ التقدم الفكري و العلمي ، إلاّ أن التراث حسب وجهة نظر زكي نجيب محمود يعد عائقًا في وجه تقدمنا، ولننظر إلى الأمم التي من حولنا ونرى كيف بلغت ذلك الرقي والازدهار على جميع الأصعدة علّنا نجد عندهم ما يمكن أن يكون سبيلاً لبلوغنا الحضارة .

<< إن أوربا حين نهضت من عصورها الوسطى ، كان سر نهوضها هو أن خرجت من بطون الكتب إلى عالم الأشياء ، إلى دنيا الواقع ، تقرأ كتاب الكون لتضيف علمًا جديدًا إلى علمٍ قديم ، وهنا وقف العالم العربي مكانه من الورق وما كتب عليه ، ترك أوربا لتنفرد وحدها بكتاب الطبيعة ، فكان لها من ا لوثبات في الكشف عن أسرار العالم ، ثم كان للأمة العربية من وقوفها تعيد ما كانت قد بدأته وفرغت منه، ثم تعيده كرة ثانية وثالثة >>[2] .

ولما كان زكي نجيب محمود من المفكرين الداعين إلى قطع الصلة نهائيًا بالتراث ، والاتجاه نحو العيش مع من يعيشون في عصر العلم والحضارة ، ذهب إلى حد تشبيه من يأخذ بالقديم ، ويعيد تكرار

---

(1)زكي نجيب محمود ، هذا العصر وثقافته، ص56 .

(2)زكي نجيب محمود ، بذور وجذور ، ص 125 .

تـراثنـا الثقـافـي – وهـو يعتقـد أن هـذا المـوروث الثقـافـي هـو طـريقنـا للحضـارة – بشخصيـة "دون كيخـوتـه" التـي تكلـم عنهـا ، "سيـرفـانتيـس" فهـو يقـول << عنـدما صـور سيـرفـانتيس هـذه الشخصيـة – شخصيـة دون كيخـوتـه – كـان بمثـابة مـن يقـدم للنـاس صـورة رجـل يجسـد عهـدًا مضـى ، فمـن أراد أن يعيـده كمـا كـان . . . كـان بـذلك أعجـوبة تـدعـو للضحـك >> [1] .

إن استعارة مثـل هـذا التشبيـه يـؤكـد لنـا مـدى حـرص زكـي نجيـب محمـود علـى ضـرورة تـرك التـراث ، وهـو فـي الكثيـر من الأحيـان يتخـذ المـواقف المتشـددة تجـاه هـذا المـوروث الثقـافـي ، وذلـك نتيجـة تـأثـره بالفلسفـة الوضعيـة المنطقيـة ، فهـو يـرفـض هـذا التـراث كمـا رفـض الميتـافيزيقـا من قبـل ، وهـذا التـأثـر واضـح فـي قـولـه << إننـا لـولا علـوم الغـرب وعلمـاؤه لتعـرت حيـاتنـا الفكـريـة علـى حقيقتهـا ، فـإذ هـي لا تختـلف كثيـرًا عـن حيـاة الإنسـان البـدائـي فـي بعـض مـراحلهـا الأولـى >> [2] .

إن زكـي نجيب محمـود كغيـره مـن المفكـرين العـرب الذيـن صـوبوا عيـونهـم تجـاه علـوم الغـرب وثقـافة الأخـر المتحضـر، رأى أن الإنسـان العـربـي المثقـف عليـه أن ينتقـل مـن قـراءة كتـب الأوليـن إلـى قـراءة كتـاب الطبيعـة ، مثـله مثـل غيـره مـن المثقفيـن الغـربييـن ، علينـا أن نخـرج مـن عـالم الكتـب إلـى عـالم الـواقع الحسـي نبحـث ونفتـرض ونجـرب ونكتشـف .

إن حيـاتنـا الثقـافيـة فـي هـذا العصـر الـذي هـو عصـر العـلم لازالـت تـركـن إلـى سلطـة المـاضـي ، الـذي هـو التـراث هـذا مـا جعلهـا تبتعـد عـن العـلم << والـذي أزعمـه عـن حيـاتنا الثقـافيـة اليـوم ، هـو أن هـذا الجـانب الفكـري منهـا الـذي لا هـو إبـداع أدبـي ولا فنـي ، ولا هـو من زمـرة العـلوم،

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، هذا العصـر وثقـافته ، ص 30 .

(2) زكـي نجيـب محمـود ، تجـديـد الفكـر العـربـي، ص 61 .

قد ضعفت في نفوسنا خبرته . . .وقد مال الناس نحو رفض عصرهم، هروبًا إلى الماضي ليختاروا منه ركنًا آمنًا هادئًا >> [1].

هكذا إذن اعتبر زكي نجيب محمود التراث – إن صح القول – قد فقد صلاحيته في عصرنا هذا ، واعتبر كذلك أن شعوبنا دراويش فهو يقول << إن جماهيرنا دراويش بالوراثة ،فإذا عقل بعضهم ، كان ذلك قبسًا دخيلاً على طبع أصيل ، ولا عجب أن تروج فيهم الخرافات والكرامات ، والخوارق ، بأسرع من رؤية البرق إذا لمع >> [2] .

وذهب المفكر زكي نجيب محمود إلى تعداد الأسباب التي جعلته يرفض التراث ، فكانت كالتالي .

---

(1) زكي نجيب محمود ، بذور وجذور ، ص 122 .

(2) زكي نجيب محمود ،تجديد الفكر العربي ، ص 163 .

سبـــب رفـــــض التـــــــراث

يـرى زكـي نجيـب محمـود أن هنـالـك عـدة أسبـاب تجعلنـا نعتبـر التـراث العـربي الإسـلامـي ، لـم يعـد صـالحـًا لاتخاذه كـأداة لمعـالجـة المشـاكـل التـي يعـرفهـا الإنسـان العـربي المعـاصـر ، كمـا لا يمكـن لهـذا التـراث أن يكـون الطـريق المـوصـل إلـى الحضـارة ، وأول هـذه الأسبـاب التـي جعلـت التـراث يُـرْفَضْ ويعتبـر عـديم الفـائـدة ، فـي نظـر زكـي نجيـب محمـود هـو :

<u>أولاً</u> :أن العـديـد مـن المشـاكـل والمعضـلات قـد تغيـرت ، كمـا أن المشكـلات الفكـريـة التـي شغلـت الأسـلاف ، لـم تعـد تهمنـا فـي يـومنـا هـذا ، وفـي عصـرنـا هـذا ، تـلك المشـاكـل التـي أخـذت مـن وقـت الأسـلاف الكثيـر، وحيـزًا كبيـرًا مـن تفكيـرهـم . وهـذا راجـع كمـا أسـلفنـا الذكـر إلـى طبيعـة العـلاقـة التـي دارت عليـهـا حيـاتـهـم ، والتـي تدور عليـهـا حيـاتنـا نحـن اليـوم، هـذا هـو السبـب الأول الـذي جعـل زكـي نجيـب محمـود يرفـض التـراث .

<u>ثـانيـًا</u>: يـؤكـد زكـي نجيـب محمـود علـى أن التـراث العـربي الإسـلامي، يحتـوي علـى بعـض المسـائـل التـي كـانت تطـرح بأهميـة بـالغـة ، ولـم تعـد تعـرف تـلك الأهميـة ، ومـن بيـن هـذه المسـائـل، "مسـألـة خـلق القـرآن" ، و"صفـات اللـه" ، وغيـرهـا مـن المسـائـل التـي كـانت تشـكـل محـور اهتمـام الفـرق الكـلاميـة ، ولـذلـك يـدعـو – زكـي نجيـب محمـود- إلـى تـرك مضـمـون مشـكلات الأسـلاف ، لأن ذلـك المضمـون لـن يفيـدنـا فـي شـيء ، وهـو يقـول فـي كتـابـه <u>تجـديـد الفكـر العـربـي</u> مـا يلـي:
<< لننـظـر إلـى حيتنـا اليـوم ومـا تواجهنـا بـه مـن مشكـلات أسـاسيـة ، لـم يعـد يصـلح لهـا مـا قـد ورثنـاه مـن قيـم مبثـوثـة فـي تـراثنـا ، السبـب بسيـط ،

هـو أنهـا لـم تكـن هـي نفسهـا المشكـلات التـي صـادفت أسـلافنـا >>[1] .

ثـالثـًا: لا يخفـى علـى أحـد أنـه فـي تـراثنـا الفكـري الكثيـر مـن أقـوال وأفكـار المتصـوفة ، هـؤلاء الـذين يـرون أن العـلم يكـون عـن طـريق اللاوعـي وهـذا مـا يـرفضـه زكـي نجيـب محمـود ، وهـذا بالتحـديـد مـا يجعلـه يـرفـض هـذا الجـانب مـن التـراث .

كمـا أن أسـلافنـا مـن المتصـوفـة قـد اهتمـوا كثيـرًا بمسـألـة الأوليـاء والكـرامات ، إلـى جـانب اهتمـامهـم بفكـرة المـوازاة بيـن الأوليـاء والأنبيـاء ، غيـر أن مثـل هـذه الأفكـار لـم نعـد بحـاجـة إليهـا فـي يـومنـا هـذا ، <<واضـحٌ لـي أن هـذا الجهـد الفكـري كـله، من أولـه إلـى آخـره ،مهمـا تكـن أهميتـه ، وخـطورتـه بالنسبـة لأسـلافنـا ، فلـم تعـد بنـا حـاجـة إليـه اليـوم ، إلاّ فـي حـدود المشـوقيـن إلـى دراسـة التـواريـخ >>[2] .
كمـا يقـول أيضـًا << إن من حـق مـن شـاء أن يستمـتـع بقـراءة هـذا الصنـف مـن الكـلام – وهـو فـي تـراثنـا كثيـر – لكـن ليعلـم أن الدنيـا لـن تتـقـدم بـه قيـد أصبـع واحـدة >>[3] .

إذن هـذا سبـب آخـر جعـل زكـي نجيـب محمـود يـرفـض التـراث ، فـأقـوال المتصـوفـة لا تـدعـو إلـى العـلم بالمعنـى التجـريبـي لـه ، بـل تـدعـو إلـى العـلم بمعنـى المكـاشفـة ، ولهـذا وجـب علينـا أن نتجـاوز هـذا الجـانب مـن التـراث علـى حـد قـول زكـي نجيب محمـود ، لأنـه لـن يكـون طـريقـًا للتقـدم بقـدر مـا يكـون عـامـل علـى بقـائـنا متخلفيـن ، << وعقيـدتي هـي أن تـراثنـا العـربي . . . فيـه عـوامـل أخـرى تعمـل فينـا كـأبشـع مـا يستطيع فعـله كـل مـا فـي الدنيـا مـن أغـلال وأصـفاد ، وأنـه لمـن العبـث أن يـرجـو العـرب المعـاصـرين لأنفسهـم نـهـوضـًا أو مـا يشبـه النهـوض قبـل أن يفكـوا عـن

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، تجـديـد الفكـر العـربـي، ص 73 .

(2) زكـي نجيب محمـود ، المعقـول واللامعقـول فـي تـراثنـا الفكـري، ص 408 .
(3)المصـدر نفسـه، ص 430 .

عقولهم تلك القيود ، لتنطلق نشيطة نحو ما هي ساعية إلى بلوغه >>(1) .

رابعًا : إن التراث العربي يحمل في طياته الكثير من السحر ، هكذا يرى زكي نجيب محمود ، إذ يقول << ولقد تجد في تراثنا أحاديث عن السحر والتعزيم ، الرّقى والتمائم . . . ألوف الصفحات مبعثرة هنا وهناك ، في أنْفَسْ ما خلفه الآباء من ميراث ثقافي >>(2) .
ويقدّم زكي نجيب محمود عدّة أمثلة حتى يبين لنا كيف أن التراث الفكري العربي احتوى على العديد من الأفكار اللامعقولة كما يسميها .

ويعطي لنا "إخوان الصفا" كنموذج لذلك ، فهم وعلى الرغم من أنهم يمثلون النخبة المثقفة آنذاك إلاّ أن كتبهم حملت في طياتها مثل هذه الأفكار – أفكار عن السحر- << فإذا وجدنا صفوة الصفوة هؤلاء ، برغم نزوعهم القوي نحو التفكير العلمي يختمون رسائلهم ، برسالة يخصصونها "لماهية السحر والعزائم والعين" ، لا ليحيطوا الموضوع بما يثير الريبة ، بل ليحيطوه بما يؤيد كل ما يقال عنه من قوة وتأثير، أقول إذا وجدنا تلك الصفوة الممتازة من المثقفين تقف هذه الوقفة ، من موضوع السحر وفروعه ، علمنا أن المسألة لم تكن عند القوم موضوعًا للسؤال ، وهذا هو مصدر خوفنا من هذا الجانب من التراث المأثور عن أسلافنا >>(3) .

إن مثل هذه الأفكار التي احتواها تراثنا قد ساعدت على انتشار الأفكار الخرافية في نظر زكي نجيب محمود ، ولهذا كان علينا رفض التراث برمته ، وربما كان هذا سببًا كافيًا لقطع الصلة نهائيًا مع التراث وما يحمله من أفكار بعيدة عما يقبله العقل والعلم .

---

(1) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي، ص 26 .

(2) زكي نجيب محمود ، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ص 438 .

(3) المصدر نفسه، ص 439 .

خـامسًا : يـرى زكـي نجيـب محمـود الـوضعـي المنطقـي ، أنه علينـا بالتحـول من تـلك الثقـافة المبنيـة علـى تقـديس اللغـة ، وأي لغـة إنهـا اللغـة التـي لا يـربطهـا بالـواقـع المحسـوس شـيء ، لأن العصـر الـذي نعيش فيـه ، هـو عصـر العـلم والصنـاعـة ، وعلـى المجتمـع العـربي التخـلي عـن تـلك اللغـة ، التـي تـربط كـلام بكـلام آخـر ، والإتجـاه إلـى اللغـة العلميـة .

وهـو يـرى أنـه لـن يقـوم مقـام للأمـة العـربيـة الإسـلاميـة ، إلاّ إذا قـامت بمـراجعـة هتـه الأداة التـي نستعملهـا للتعبيـر بهـا عـن أفكـارنـا وانشغالاتنا ، هـذا إلـى جـانب مسـائـل أخـرى تسـاعـد علـى نهـوض هـذه الأمـة ، ولـذلك فهـو يقـول << لسـت أتصـور لأمـة مـن الأمـم ثـورة فكـرية كـاسحـة الـرواسب إلاّ أن تكـون بـدايتهـا نظـرة عميقـة عـريضـة ، تـراجـع بهـا اللغـة، وطـرائـق استخـدامهـا لأن اللغـة هـي الفكـر ، ومحـال أن يتغيـر هـذا بغيـر تـلك >>[1] .

يـرى زكـي نجيـب محمـود أن الحيـاة الفكـريـة فـي الأمـة العـربيـة الإسـلاميـة تعـاني مـن فقـر شـديـد فـي الإبـداع الثقـافـي والفكـري ، وهـذا الفقـر راجـع إلـى سـوء استخـدامنـا للغـة ، أو علـى حد قـولـه راجـع إلـى الطـريقـة الغـامضـة التـي نستخـدم بهـا اللغـة ، وهـذا القصـور فـي استخـدام اللغـة لا يقتصـر علـى عـامـة النـاس فقـط ، بـل تجـاوزهـم حتـى إلـى النخبـة المثقفـة مـن رجـال العـلم والفكـر والثقـافـة ، فهـم كـذلك لا يحسنـون استخـدام اللغـة ، مـن وجهـة نـظره .

وأول شـيء يـركـز ويـؤكـد عليـه زكـي نجيب محمـود ، فـي هـذا السبـب الـذي جعـله يـرفـض التـراث ، هـو ضـرورة أن يكـون الفكـر واضحـًا، فهـو يقـول فـي هـذا الصـدد << فـالفـرق بيـن الفكـرة الـواضحـة ، والفكـرة حيـن يلفـهـا الغمـوض هـو أشبـه بالفـرق بيـن رحـالة فـي حـوزتـه

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، <u>تجـديـد الفكـر العـربي</u>، ص 205 .

خـريطـة واضـحة التفـاصيـل . . . يستطيـع من خـلالهـا الـوصـول إلـى غـايتـه، ورحـالة آخـر كـل مـا فـي حـوزتـه ورقـة ، خـطت عليهـا مجمـوعـة مختلطـة من الخـطوط ، فيضـل طـريقـه >>[1] .

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، حصـاد السنيـن ، ص 291 .

مســـألــة اللغـــــــة

مـــن اللغــة تـبدأ ثــورة التجــديد

إن مـوقـف زكـي نجيـب محمـود مـن مسـألـة اللغـة قد حـدده بنـاءًا عـلى الأسـس ، أو المقـومـات التـي استمـدهـا مـن المـذهـب الـوضعـي المنطقـي ، لـذلك فهـو يـرى أنـه يجيـب التمييـز بيـن مستـويين مـن الألفـاظ .

<u>المستـوى الأول</u> : يـربـط الكـلام بالـواقـع الخـارجي ، وذلـك كقـولنـا <<إن الكـويت واقـعة علـى الخليـج العـربـي >>[1] .

<u>المستـوى الثـانـي</u> : فهـو يـربط الكـلام بكـلام آخـر ، وذلـك كقـولنـا << إن ركـوب البحـر أمتـع من ركـوب الـطائـرة ، ولمـا كـانت الطـائـرة أسـرع من السفينـة ، كـانت المتعـة غيـر متـوقفـة علـى السـرعة >>[2] .

ولـذلك فـإن المستـوى الأول مـن اللغـة هـو الـذي يهمّنـا ، كمـا أن اللغـة التـي كتـب بهـا التـراث العـربـي الإسـلامـي ، والتـي مـازالـت مستخـدمـة إلـى يـومنـا هـذا ، فـي رأي زكـي نجيـب محمـود هـي من المستـوى الثـانـي ، فهـي عبـارة عـن اِرتبـاط ألفـاظ بـألفـاظ أخـرى ، ولا يـوجـد مـا يـربطهـا بالـواقع الخـارجـي ، ولـذلك فهـو – زكـي نجيـب محمـود- يـرفـض هـذا المستـوى من اللغـة ، والتـي حسـب رأيـه هـي التـي سيطـرت علـى تفكيـرنـا وعلـى تـراثنـا، وهـي علـى حـد تعبيـره << لا تطعـم جـائـعًا ولا تـروي ضمـأنـًا ، ولا تكسـو عـاريـًا >>[3] .

ويـدعـو زكـي نجيـب محمـود إلـى إحـداث تغييـر فـي الأسـلوب اللغـوي، الـذي يُسْتَخـْدَمْ فـي حيـاتنـا الفكـريـة ، لأنـه يـرى أنـه مـن المستحيـل أن يتغيـر للنـاس فكـر ، من غيـر أن يغيـروا طـريقـة استخـدام اللغـة ، كمـا

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، <u>تجـديـد الفكـر العـربي</u> ، ص 212 .

(2) <u>المصــدر نفسـه</u>، ص 212 .

(3) <u>المصـدر نفسـه</u> ، ص 222 .

يحاول – زكي نجيب محمود – تبيان أنه لم يعد باستطاعة الأسلوب اللغوي القديم الذي استخدمه الأسلاف أن يكون أداة << في عصرنا تصل كاتب وقارئ ، فيما يراد عمله بالنسبة إلى أوضاع الحياة اليومية الجارية >>[1] .

ويرجع زكي نجيب محمود سبب تخلفنا الثقافي إلى جانب السبب الأول ، وهو إعادة اجترار التراث إن صح القول ،هناك سبب آخر وهو اللغة المستخدمة عندنا إذ يقول << إن موضع الضعف في ثقافتنا العربية ، يعود إلى ذلك الغبار اللفظي الكثيف الذي نلتف به فيحتوينا ، في جوفه احتواءً يسد علينا مصادر الضوء >> [2] .

فاستخدمنا للغة كما رأى زكي نجيب محمود، لم يكن استخدامًا صحيحًا ، وذلك منذ القديم اهتم أسلافنا بالزخرف اللفظي دون إعطاء الأهمية إلى الدلالة التي تحملها الصيغ اللفظية ، فهو يقول << إن الثقافة العربية في كثير جدًا من الحالات ، لم يكن يعنيها أن تكون للصيغة الكلامية دلالة في دنيا الطبيعة ، وعالم الكائنات ، إن الصيغ اللغوية إنما تفعل فعلها كله ، مادامت حسنة التركيب جميلة الجرس>>[3] .

وبما أن زكي نجيب محمود هو أحد أتباع المذهب الوضعي المنطقي ، فإنه كغيره من هؤلاء الفلاسفة يعطي أهمية بالغة لمسألة اللغة ووضوح الأفكار ، فهو يرى أن اللغة بقدر ما تكون أداة تدل صاحبها وترشده إلى ما يريد ، فهي كذلك تضلل هذا الإنسان ، وذلك

---

(1) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي، ص220 .

(2) زكي نجيب محمود ، بذور وجذور، ص 130 .

(3) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي، ص233 .

إذا كـانت عبـارة عـن ألفـاظ وعبـارات ، وتـراكيـب لا تُمَتْ بصـلـة إلـى الـواقـع المحسـوس .

<< إن اللغـة بقـدر مـا هـي دالـة وهـاديـة إلـى الصـواب ، تكـون كـذلك مضـللـة وموجهـة إلـى الخـطأ . . . ففـي الحـالة الأولـى كـلوح زجـاجـي شفـاف كقـولنـا كـانت نـافـذة مكتـبي مفتـوحـة عنـدمـا هبّـت الـريـح القـويـة ، فبعثـرت أوراقـي علـى الأرض ، أمـا فـي الحـالـة الثـانيـة فتكـون كـلـوح زجـاج معتّم كقـولنـا أن روحـانية الشـرق هـي سبيـله إلـى الخـلاص مـن أدران المـدنيـة الغـربيـة وشـرورهـا >>[1] .

إن زكـي نجيـب محمـود عنـدما يقـدم لنـا مثّـل هـذه الأمثـلة إنمـا يقصـد مـن وراء ذلـك ، تبيـان لنـا أن الأمـة العـربيـة الإسـلاميـة ومن ثـّم الثقـافـة العـربيـة اهتمـت ولوقـتٍ كبيـر بمثـل هـذه التعـابيـر والألفـاظ وابتعـدت عـن اللغـة التـي تـربطـهـا بالـواقـع ، تـلك اللغـة فـي نظـر زكـي نجيـب محمـود هـي التـي يمكـن لهـا أن تفيـدنـا علـى عكـس الألفـاظ المنمّـقة التـي تسبـح بنـا فـي الخيـال ، دون أن تعيـدنـا إلـى الـواقـع المحسـوس .

إن زكـي نجيـب محمـود يـدعـو إلـى وجـوب إحـداث ثـورة فـي مجـال اللغـة ، ولهـذا فهـو يقـول فـي كتـابه تجـديـد الفكـر العـربـي << وعنـدي أن الأصـل المنشـود هـو أن تتطـور اللغـة ، بحيـث تحقـق شـرطيـن : أن تحـافـظ علـى عبقـريتهـا الأدبيـة أولاً ، وأن تكـون أداة للتـوصيـل ، لا مجـرد وسيـلة لتـرنم المتـرنميـن ثـانيًـا >>[2] .

هكـذا إذن كـانت المشـكلـة فـي نظـر زكـي نجيـب محمـود بالنسبـة إلـى المجتمـع العـربـي ، وفـي هـذا الـوقت بالـذات تتمثـل فـي كيفيـة التخـلص مـن

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، بـذور وجـذور ، ص 130 .

(2) زكـي نجيـب محمـود ، تجـديـد الفكـر العـربـي ، ص 223 .

ذلك الإسهال اللفظي كما يسميه ، أو قل علينا أن نحدث ثورة في اللغة ، كما تحدث الثورات في المجالات العلمية الأخرى << وبغير هذه الثورة في استخدامنا للغة ، فلا رجاء في أن تحقق لنا الوسيلة الأولية التي ندخل بها مع سائر الناس عصر التفكير العلمي ، الذي يحل المشكلات>>[1] .

لقد أعطى زكي نجيب محمود لمسألة اللغة أهمية كبيرة في تفكيره، متأثرًا في ذلك بالمذهب الوضعي المنطقي ، فهؤلاء أيضًا ركزوا على ضرورة أن تجيء اللغة معبرة عن الوقائع الخارجية ، وأن تتخلص الفلسفة من تلك اللغة المجازية .

---

(1) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، ص 223 .

إن أهم شـيء ركـز عليه زكـي نجيب محمـود فـي ثـورتـه الفكـريـة التـي أقـامهـا ، ضـد كـل مـا تحتـويـه الحيـاة الثقـافيـة ، والفكـريـة العـربية ، هـي ضـرورة تغيير منهـج البحـث المتّبـع فـي الدراسـات العـربيـة ، ولعـل هـذه المسـألـة هـي التـي بقـي ينـادي بهـا ، ويصـر عليهـا طـوال حيـاته الفكـريـة ، رغـم أنـه قـد عـدّل مـن بعـض مـواقفـه فيمـا بعـد ، وخـاصـة تـلك المتعلقـة بمسـألة التـراث ، وذلـك فـي أواخـر حيـاته ، إلاّ أن مسـألة المنهـج هـي المسـألة الوحيـدة التـي أبقـى عليهـا .

ولقـد رأى زكـي نجيب محمـود، أن سـرّ تقـدم الغـرب ، وبلـوغـه المدنية والتحضـر ، هـو نفسـه الـذي نستطيـع أن نتخـذه وسيـلة لكـي نتقـدم نحـن أيضـًا، وذلـك إذا نحـن عـرفنـاه واستخـدمنـاه .

لا يختلـف اثنـان علـى أن الأمـة العـربيـة تعيش ركـودًا حضـاريـًا ، كمـا لا يختـلف اثنـان علـى أنـه فـي مقـابل هـذا هنـاك أمـم تعيـش تطـورًا مذهـلاً ، هـذا التطـور والتحضـر الـذي تعيشـه هـذه الأمـم ، يعـود حسـب زكـي نجيـب محمـود بالـدرجـة الأولـى إلـى اعتمـاد هـؤلاء علـى المنهـج التجـريبـي ، فـي العلـوم وفـي غيـر العلـوم .

إن أهـم شـيء يفتقـر إليـه البـاحـث والمثقـف العـربـي هـو المنهـج ، كمـا أن حيـاتنـا الفكـريـة هـي الأخـرى تفتقـر إلـى المنهـج السليـم ، الـذي مـن خـلالـه يمكننـا أن نلحـق بالـركـب الحضـاري ، ولكـن أي منهـج الـواجـب إحلالـه ، والـواجـب إتبـاعـه؟ إنـه المنهـج التجـريبـي هكـذا رأى زكـي نجيـب محمـود .

الإعتمـــــاد علـــى المنهــج التجـريبـي

إن أهم شـيء تفتقر إليـه الأمـة العـربيـة هو المنهج الصحيح ، هذا هو الـرأي الـذي استقر عليـه زكـي نجيب محمـود فبعد مـا بيـن الصعوبـات التـي حـالت دون بلـوغنـا الحضـارة ، رأى أنـه علـى الأمـة العـربية سلـوك طـريق واحـد ووحيد لبلـوغ التقدم ، وهـذا الطـريق يكـون بالاعتماد علـى المنهـج التجـريبي .

وإذا أرادت الأمـة العـربيـة أن تصـل إلـى مـا وصـلت إليـه الأمـم المتقدمـة ، مـا عليهـا إلاّ أن تـأخـذ بهـذا المنهـج ، وهـذا مـا كـان يـدعـو إليـه زكـي نجيـب محمـود ، فـي أغـلب مـؤلفـاته إذ يقـول وهـو بصـدد عـرض تحليـلي لمشكـلة تخـلف الأمـة العـربية ، وسبيـل الخـروج من هـذا التخـلف مـا يلـي : << وكـانت مشكـلة حيـاتنـا هـي أننـا تخـلفنـا عـن الـركب الحضـاري فـي عصـرنا ، ومـن الطبيعـي أن نسـأل أنفسنـا كيـف السبيـل للحـاق بمـواقـع الـريـادة ؟ وكـانت الإجـابة هـو أن مـا قـد أفلـح بـه رواد الحضـارة وصـانعوها فـي أوربا وأمريكا هـو نفسـه ما نفلح بـه نحـن >>[1] .

كـانت أوربـا تعيـش فـي العصـور الوسطـى ، مـرحـلة من الظـلام الفكـري ، ولكـن حيـن نـهضـت من خـلال نـهضتـها المعـروفة ، أول مـا رأتـه ضـروريًـا لنـهضتهـا تـلك ، هـو أن تكـون هنـاك ثـورة فـي النهـج الـذي كـان متبعـًا فـي الـدراسات .

لقـد كـان المنطـق الأرسطـي هـو المنهـج الوحيد فـي الـدراسة آنـذاك ، فـرأى رواد عصـر النهضـة ، و العصـر الحـديث أنـه كـي يستقيـم الفكـر ،

---

(1) زكـي نجيـب محمـود ، حصـاد السنيـــن ، ص 131

وتكون هناك نهضة فكرية بأتم معنى الكلمة ، لابد من رفض هذا المنهج واستحداث منهج جديد يناسب الحياة الجديدة ، فأخذ الفلاسفة والمفكرون في هذا العصر يتناولون البناء العقلي الذي كان سائدًا ، وأحلو منطقًا مغايرًا للمنطق الذي كان سائدًا ، وهذا المنطق يقوم على الخبرة الحسية ، وركزوا على هذه النقطة ، وكانت هي نقطة الانطلاق، وذهبوا إلى ضرورة التأكيد على أن لا تكون نقطة الابتداء هي أقوال الفلاسفة والمفكرين الذين سبقوهم ،و لقد دعا "هيوم " في القرن الثامن عشر إلى ضرورة تطبيق المنهج التجريبي على العلوم الإنسانية وذلك حتى تصبح هذه العلوم كالعلوم الطبيعية .

وإذا كانت أوربا قد فعلت كل هذا من أجل بلوغ ما بلغته من تقدم في العلم والمعرفة ، رأى زكي نجيب محمود أنه لا يقوم للأمة العربية مقام ، إلاّ إذا استحدثت منهجًا أو نمطًا يختلف عما هو قائم في حياتنا الفكرية ، ورأى أن سبب التخلف الذي ترزح فيه حياتنا الثقافية ، هو اعتمادنا على منهج قديم ، لذا فهو يدعو إلى ضرورة إتباع المنهج التجريبي ، بل ذهب إلى حد القول أن الثورة الفكرية التي يرجوها أي مفكر أو مثقف عربي لا تكون إلاّ بتغيير الأساس الذي يقوم عليه التفكير فهو يقول في هذا الصدد ما يلي << إن طريق الثورة في كل ميادين الحياة ، إحلال نمط جديد محل نمطٍ قديم ، فإذا كان نمطنا الفكري القديم هو في جوهره الرجوع إلى المحفوظ لنلتمس الحلول لمشكلاتنا فلن تكون لنا ثورة فكرية إلاّ إذا أحللنا نمطًا جديدًا محل النمط القديم >>[1] .

وكان المنهج التجريبي هو الوسيلة الوحيدة في نظر زكي نجيب محمود، التي يمكن من خلالها بلوغ التقدم والتطور ، بعد ما رأينا كيف

---

(1) زكي نجيب محمود ، مجتمع جديد أو الكارثة، ص18 .

أن التراث لم يعد باستطاعته أن يقوم بهذا الدور ، وكيف أن زكي نجيب محمود دعا إلى قطع الصلة نهائيًا بالتراث ن حتى أنه في بعض الأحيان كان يرى أن هذا التراث ، لم يعد يصلح إلاّ للتسلية في أوقات الفراغ .

وهكذا إذن راح مفكرنا يدعو إلى ثورة فكرية ، تقوم على استبدال المنوال القديم ، والأخذ بمنهج العلم في كل تفكير ، ومنهج العلم هو المنهج التجريبي الذي أخذت به أوربا فتقدمت بعدما استبدلت المنهج الذي كان متبعًا ، ولذلك يرى زكي نجيب محمود أن << سر النهضة العلمية التي نشأت في أوربا إبان القرن السادس عشر ، فتولد عنها العلم الحديث ، والحضارة الحديثة بأسرها ، هو نفسه السر العظيم الذي لم ينكشف لنا حتى اليوم انكشفًا تامًا ، وما ذلك السر العظيم إلاّ منهج جديد يحل محل منهج قديم >>[1] .

وإذا أردنا نحن أن نقوم من سباتنا الثقافي والحضاري والفكري ، على حد زعم زكي نجيب محمود ، علينا أن نأخذ بهذا المنهج في البحث ، ولقد شبه الثورة الفكرية التي دعا إليها في كتابه مجتمع جديد أو الكارثة بالثورة التي تحدث في عالم النسيج ، فإن زيادة الإنتاج لا تحدث بزيادة القماش ، أو تنويع الزخارف ، وإنما تحدث بتغيير الأنوال نفسها ، فهو يقول << هكذا الحال كما أراها في حياتنا الفكرية ، فلقد زادت حصيلة الفكر . . . لكن أنوال التفكير باقية على حالها ، فقد تحدث تغيرات كثيرة على السطح ، ولكنها تغيرات لن تبلغ ثورة فكرية، لأن الثورة هي في أن تتغير الأنوال >>[2] .

---

(1) زكي نجيب محمود ، قصة عقل، ط1 ؛ القاهرة : دار الشروق ، 1983 ص 46 .

(2) زكي نجيب محمود ، مجتمع جديد أو الكارثة، ص 18 .

ويعتبر زكي نجيب محمود هذه الثورة الفكرية التي حدثت في أوربا ، والتي يرجوها أن تحدث عندنا نحن أيضًا ، لم تحدث رغم أننا شهدنا بعض التغيرات على المستوى الثقافي ، ويرجع سبب عدم حدوث هذه الثورة ، والنهضة من بعدها إلى أننا أبقينا على المنهج كما كان موجودًا عند الأسلاف << وذلك لأن النمط الفكري القديم باقٍ كما كان دائمًا >>[1] .

إن الحياة الفكرية في الوطن العربي منهارة هذا ما لاشك فيه ولا يمكن لأحد أن ينكره ، ولكن زكي نجيب محمود باعتباره واحدًا من المفكرين العرب الذين يبحثون عن الحل لهذا الانهيار بكتاباتهم ، يعتقد أن سبب هذا الانهيار ، هو أن أساس العملية الفكرية غير موجود ، وهذا الأساس هو المنهج الصالح ، والكفيل بتحقيق التقدم والازدهار ، وهذا المنهج الذي يمكن له أن يقوم بهذا الدور هو المنهج العلمي وبالتحديد المنهج التجريبي .

ويصرّ زكي نجيب محمود على أن المسألة تكمن في تغيير منهج التفكير ، فهو يقول << أنا أطالب بتغيير المنظار الذي تعودنا وضعه على وجوهنا . . . لنضع مكانه منظارًا آخر لا يخدم أهواءنا ، وإنما يكشف الحق أمامنا كما هو قائم بالفعل ، ذلك هو طريق التقدم إذا أردناه >>[2] .

هكذا إذن فلن تكون لنا حضارة ورقي ومدنية ، ما لم تكن خطوتنا الأولى هي إحداث انقلاب في منهج البحث والنظر، كما كان يبدو للمفكر زكي نجيب محمود ، فبالمنهج المناسب نستطيع أن نطور فكرنا الذي مازال ومنذ قرون خلت يراوح مكانه ، وهذا المنهج وهو

---

(1) زكي نجيب محمود ، هذا العصر وثقافته، ص 12

.

(2) المصدر نفسه، ص 95 – 96 .

المنهج التجريبي << الثورة الفكرية هي أن يتغير النمط أو المنوال تغيرًا يتبعه بالطبع أن يتغير المحصول الناتج . . . والذي أزعمه هنا هو أن منوالنا الفكري لم يتغير وأن النمط الذي نسوق نشاطنا الفكري في إطاره ، مازال كما كان منذ قرون ، و المنوال الفكري القديم الذي أعنيه ، قوامه عناصر كثيرة لعل أهمها جميعًا الركون إلى سلطة فكرية تستمد منها الأسانيد >>[1] .

---

(1) زكي نجيب محمود ، مجتمع جديد أو الكارثة، ص 16 – 17 .

مـا نفهمـه من هـذا الـرأي تجـاه اللغـة والتـراث فـي آنٍ واحـد هـو أن زكـي نجيـب محمـود، بتحـديد مـوقفـه من التـراث يتحـدد مـوقفـه من اللغـة ، ومـن ثـمّ يـرتبـط هـذا كـلـه بتـحـديـد البـديـل للتـراث ، بغيـة الدخـول فـي الحضـارة ، وتحقيـق التقـدم الفكـري و العلمـي ، ومـن ثـمّ تحقيق التقـدم فـي جميـع مجـالات الحيـاة ، وبعـد دراستنـا لمـوقف زكـي نجيـب محمـود مـن التـراث و اللغــة فـي الـوقت نفسـه نستنتـج مـا يلـي :

أولاً : إن التـراث العـربي الإسـلامي لا يمكـن قبـولـه فـي وقتنـا الحـالي، أو بالأحـرى لا يمكـن أن يـؤدي غـرضـًا فـي عصـر هـو عصـر العلـم وفقـط، وذلـك لأن التـراث قـائـم علـى مجمـوعة هـائـلـة من الألفـاظ التـي هـي – حسـب وجهـة نظـر زكـي نجيـب محمـود – لا تـرتبـط بالـواقع الحسـي أو هـي عبـارة عـن تـراكيـب لفظيـة لا تمـت بـأي صـلـة للـواقع .

ثـانيًـا : إن مـا يصبـو إليـه المجتمـع العـربي الإسـلامـي هـو كيفيـة الدخـول إلـى هـذا العصـر ، الـذي هـو بعيـد عنـا كـل البعـد ، وذلـك لأننـا جعلنـا من التـراث مـلاذا لنـا وذلـك نتيجـة عجـزنـا عـن مـواكبـة العصـر وتطـوراتـه .

ثـالثـًا : إذا أردنـا الدخـول فـي عصـرنـا عليـنا بالتخـلي عـن كـل مـا هـو مـوروث ثقـافي ، وإن صـح القـول قـطـع الصـلـة نهـائيـًا مـع التـراث ، وهـذا مـا كـان زكـي نجيب محمـود يـدعـو إليـه فـي مـرحلتـه الوضعيـة المنطقيـة ، والاتجـاه إلـى علـوم الغـرب ، لأنـه فـي المـرحلـة المتـأخـرة من حيـاتـه الفكـرية ، قـد غيـر من مـواقفـه ، وخـاصـة تـلك التـي كـان يـدعـو فيهـا إلـى قـطـع عـلاقتنـا بالمـوروث الثقـافـي ، والاتجـاه نحـو الغـرب نستقـي مـن علـومـه وحضـارتـه ،حتـى نستطيـع أن نكـون ونحيـا فـي ضـل الحضـارة و

المدنية فهو يقول << لقد تعرضت للسؤال منذ أمدٍ بعيد . . . فبدأت بتعصب شديد لإجابة تقول أنه لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلاّ إذا بترنا التراث بترًا ، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علمًا وحضارةً، بل إني تمنيت عندئذٍ أن نأكل كما يأكلون ، ونجدّ كما يجدّون، ونلعب كما يلعبون ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون ...
ثم تغيرت وقفتي مع تطور الحركة القومية . . . وأخذت أنظر نظرة التعاطف مع الداعين إلى طابع ثقافي عربي خالص ، يحفظ لنا سماتنا>>[1] .

رابعـًا : إن الحل الوحيد لمعضلة هذا التخلف الفكري الذي نحن فيه منذ قرون هو الأخذ بمنهج العلم ، لأن الحل في نظر زكي نجيب محمود يكمن في الأخذ بالمنهج الذي من خلاله بلغ الغرب التقدم والازدهار ، أي ضرورة استبدال المنهج القديم المعتمد عندنا منذ قرون بنهج كفيل بتحقيق النهضة المنشودة ، والمنهج الكفيل بهذا الدور الكبير هو منهج العلوم الطبيعية الذي بدوره هو المنهج التجريبي .

---

(1) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، ص 12 – 13 .

الخـــــــاتمـــة :

تعد مشكلة الجمود الفكري و الثقافي ، التي يتخبط فيها المجتمع العربي منذ قرون ، من أمهات المشاكل في هذا الوطن ولهذا كان التفكير في إيجاد الحل للخروج من هذا الجمود ، هو الشغل الشاغل لكل مفكر عربي ، وزكي نجيب محمود واحدًا من هؤلاء .

فلما أخذته كموضوع للبحث حاولت بذلك احترام الخطة التي وضعتها بغية الوصول إلى هدفي من البحث هذا ، واستخلاص زبدته ، وهو تبيان كيف أن زكي نجيب محمود اعتبر أن المشكلة هي مشكلة المنهج المتبع منذ قرون ، أو الطريقة المتبعة والتي تتمثل في الاعتماد على الموروث الثقافي ، فرأى أنه من الواجب استبداله بمنهج العلم ألا وهو المنهج التجريبي ، الذي تمثله العلوم الطبيعية . وبذلك فقط يمكننا التقدم الذي يرجوه كل عربي .

غير أنني وأنا بصدد البحث كنت أستخلص بعض النتائج وألاحظ بعض الملاحظات التي آثرت تركها إلى خاتمة هذا البحث ، ولم أشأ التطرق إليها في كل فصل ، فكانت هذه الملاحظات كالتالي :

-1- اعتبار المنهج الوضعي المنطقي أداة لحل المشاكل التي يعاني منها المجتمع العربي ، هكذا إذن رأى زكي نجيب محمود أن الفلسفة الوضعية المنطقية ، أو المنهج الوضعي المنطقي هو الأداة المثلى التي يمكن من خلالها حل جميع مشاكلنا ، فهو يقول وكما رأينا من قبل << المشكلة الكبرى هي كيف نتحول من ثقافة اللفظ إلى ثقافة العلم والتقنية والصناعة ؟ واضح أن ذلك لن يكون بالرجوع إلى تراث قديم ، وأن مصدره هو أن نتجه إلى أوربا وأمريكا نستقي من منابعهم ما تطوعوا بالعطاء وما استطعنا من القبول ، وتمثل ما قبلنا>>[1]

---

(1) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، ص 241.

يتضح لنا هنا أن زكي نجيب محمود يلتقي مع أتباع الوضعية المنطقية في اعتبار العلوم الطبيعية ومنهجها هو المفتاح الوحيد القادر على حل المشاكل ، وكنا قد رأينا كيف أن فلاسفة المذهب الوضعي المنطقي يؤكدون على ضرورة جعل كل المعارف في خدمة العلم ، حتى الفلسفة نفسها يجب أن تقوم بهذا الدور وهذا ما يذهب إليه زكي نجيب باعتباره أحد أتباع هذا المذهب ـ الوضعي المنطقي ـ وممثله في الوطن العربي ، فهو يؤكد أن العلم الطبيعي وأن الفلسفة الوضعية المنطقية هي الكفيلة بحل مشاكلنا الفكرية .

غير أن الكثير من المفكرين والباحثين العرب من يعتبر أنه لا يمكن للفلسفة الوضعية المنطقية أن تكون أداة تنويرية في مجتمعنا وهذا ما يذهب إليه عاطف أحمد في كتابه **نقد العقل الوضعي** . إذ يقول << إنه من المستحيل أن يصلح المنهج الوضعي كأداة تنويرية ، فهذا المنهج لابد أن يقع فريسة لأزمة خانقة ، تنشأ عن اصطدام مبادئه بالممارسة الفعلية للعلم الطبيعي والاجتماعي على السواء>>[1] .

ـ2ـ لقد اعتبر زكي نجيب محمود اللغة التي كتب بها التراث العربي الإسلامي إنما كان الهدف منها هو ملء وقت الفراغ فهو يقول << إن اللغة في تراثنا أقرب إلى الأشكال الهندسية تكفي نفسها ، منها إلى مسائل الجبر والحساب>>[2] وهذا ماجعله يدعو إلى ضرورة إحداث ثورة في مجال اللغة ، وفاءًا لمذهبه ـالوضعية المنطقيةـ إلاّ أن هذا الكلام مبالغ فيه لأن اللغة العربية قد أدت وظائف عديدة إلى جانب تأديتها وظيفة الشعر والنثر ، كما أن هذه اللغة وجدت لحاجة العرب إليها ، وكما هو معروف أن أي لغة توجد في مجتمع ما تكون نتيجة حاجة ذلك المجتمع إليها .

---

(1) عاطف أحمد ، نقد العقل الوضعي: دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود ، بيروت: دار الطليعة ، 1980 ، ص 26.

(2) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، ص233.

-3 - إن الدارس لأراء زكي نجيب محمود فيما يتعلق بالتراث يجد نفسه في حيرة لأن مواقف هذا الأخير متناقضة من مؤلف إلى أخر ، وفي بعض الأحيان في الكتاب الواحد تجد عدة مواقف متناقضة فهو في بعض المواقف يعتبر هذا التراث قد فقد قيمته بالنسبة إلى عصرنا ، وهذا وفاءًا منه لمذهبه الوضعي المنطقي ولكن سرعان ما نجده وفي مواقف أخرى يعطي قيمة عظيمة لهذا التراث ، والدليل على ذلك في كتابه **تجديد الفكر العربي** . يقول :<< تسألني ماذا نحن صانعون بآدابنا وفنوننا ومعارفنا التقليدية كلها التي كانت تحتكر عندنا اسم الثقافة ، فأجيبك بأنها مادة للتسلية في ساعات الفراغ >>[1].

أما في كتابه **مجتمع جديد أو الكارثة** . فيقول :<< لقد اختلفتما حول الماضي أي حول التراث أنتمسك به أم نهمله ؟ إن الوقفة الصحيحة هي أن نعيد قرائته لنصنعه من جديد صنعًا يتطلبه العصر >>[2].
وهذا التناقض في المواقف يعترف به صاحبه إذ يقول << لا يبعد أن يجد قارئ مقالاتي والمستمع إلى محاضراتي العامة وإلى ندواتي الفكرية التي شاركت فيها آراء متعارضة ، لا يتسق بعضها مع بعض >>[3].

- 4 - لقد حدد زكي نجيب محمود موقفه من التراث تحت تلك الهيمنة الفكرية التي خضع لها من قبل الوضعية المنطقية ، ولقد بيّنا في الفصل الأخير من هذا البحث كيف نظر لهذا التراث ، وكيف رأى أن << التراث منطو على أضداد ومتناقضات ، فعلى الداعين في غير حذر إلى وجوب العودة إلى التراث أن يحددوا أي هذه الأضداد والمتناقضات يريدون >>[4] .

إن هذا التأثير الذي مارسته الوضعية المنطقية جعله - زكي نجيب محمود -

---

(1)زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ، ص241.
(2)زكي نجيب محمود ، مجتمع جديد أو الكارثة ، ص 73 .
(3) زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ،ص 15.
(4) زكي نجيب محمود ، المصدر نفسه ، ص 185 .

يعتبر كذلك << أننا في حياتنا الثقافية مازلنا في مرحلة السحر ، التي تعالج الأمور بغير أسبابها ، فإذ هي لا تختلف كثيرًا عن حياة الإنسان البدائي في بعض مراحلها الأولى >>[1].

غير أنه لا يمكن مجاراة زكي نجيب محمود في هذا الموقف ، لأن التراث العربي الإسلامي قد ضم مجموعة من المواقف العلمية ، كما أن اعتبار المجتمع العربي ما زال في مراحل السحر والخرافة فهذا غير صحيح وذلك لأن أسلافنا عرفوا العلوم وطبقوا المناهج العلمية ، ونقلت علومهم في وقت من الأوقات إلى أوربا نفسها .

إن زكي نجيب محمود يضع كل انجازات الأسلاف في خانة الميتافيزيقا لا في خانة العلم ، وهذا غير صحيح لأن الأسلاف عرفوا العلم كما عرفوا أيضًا الميتافيزيقا .

وفي الأخير يمكن القول أن زكي نجيب محمود في المرحلة الأخيرة من حياته الفكرية ، قد عدل من مواقفه المتشددة تجاه التراث ، وحصر مذهبه الوضعي المنطقي الذي بقي متشبثًا به في مجال العلم فقط إذيقول : << مازلت حتى هذه اللحظة أتمسك بالأسس العامة للوضعية المنطقية في مجال التفكير العلمي >>[2]. بعدما رأى أن هذه الفلسفة كانت نتيجة مجموعة من الظروف لم توجد في مجتمعنا العربي ، وأنه لايمكن بذلك تطبيقها في حياتنا الفكرية .

---

(1) زكي نجيب محمود ، <u>تجديد الفكر العربي</u> ، ص 62.

(2) زكي نجيب محمود ، <u>ترجمة الماضي إلى حاضر</u> ، مجلة العربي ، العدد 219 ، 1988. ص 17.

فهـــــرس الأعـــلام

فهـــرس المصطلحـــات:

1-أولي قبلي	A priori
2-الأحكام التحليلية	Les Jugements analytiques
3الأحكام التركيبية	Les Jugements synthétiques
4- الإستنباط	Déduction
5- الإستقراء	Induction
6 الاستدلال	Raisonnement
7- التحقق الممكن	Vérification possible
8 - التحقق الفعلي	Vérification effective
9 - التحقق المباشر	Vérification directe
10 - التحقق غير المباشر	Vérification indirecte
11- التحقق الضعيف	Vérification faible
12- التحقق القوي	Vérification fort
13-ا لتحليل المنطقي	l'analyse logique
14- الحدس	Intuition
15- الحداثة	La modérnite
16- التجربة	L'xpèrience
17- التراث	La patrimoin
18- الجدل	Dialectique
اللغة	La langue
20- المنهج	La méthode
21- المنطق	La logique
22 المنطق العام	Logique générale
23 المنطق العلمي	Logique scientifique
24- الملاحظة	L'observation
25- فلسفة العلوم	Epistémologie
26- علم المناهج	Méthodologie
27- مبدأ التحقق	Principe de vérification
28- ميتافيزيقا	Métaphysique

قـــــــــــائمـــة المصـــادر والمــراجع

أولاً : المصـــــــــــادر:

زكـــــــي نجيب محمـــود :1- أسس التفكير العلمي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، بدون ذكر سنة النشر.

2- المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، دار الشروق، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1974 .

3- المنطق الوضعي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الجزء الأول والثـاني ، 1961

4- بذور وجذور، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1990.

5- تجديد الفكر العربي ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الرابعة، 1978.

6- حصاد السنين، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الحادية عشر، 1992.

7- حياة الفكر في العالم الجديد ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1956 .

8- خرافة الميتافيزيقا ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ، 1953 .

9- فلسفة وفن ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،1963

10- شروق من الغرب ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1983.

11- قشور ولباب ، دار الشروق ، القاهرة ، 1983.

12- قصة عقل ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1983.

13- قصة نفس، دار المعارف،القاهرة،دون ذكرسنة النشر

14- مجتمع جديد أو الكارثة ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1978 .

15- موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1993.

16- نحو فلسفة علمية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة 1958.

17- هذا العصر وثقافته ، دار الشروق ، القاهرة،الطبعة الثانية،1982.

ثـــانيًا:المـــراجــــــع:

- أ- بالعــــــربية:

1- أحمد أمين وزكي نجيب محمود، قصة الفلسفة الحديثة، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة،الجزء الأول،1983.

2- ايمانويل كانط، نقد العقل المحض، ترجمة: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي .

3-برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، الجزء الثالث.

4-برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1945 .

5- توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، بيروت،الطبعة الحادية عشر.

6- جلال محمد موسى، منهج البحث العلمي عند العرب،دار النهضة العربية،بيروت، الطبعة الثانية،1973.

7- داجوبرت رونز، فلسفة القرن العشرين،ترجمة:عثمان نوية ،مراجعة زكي. نجيب محمود، مؤسسة سجل العرب .

8- رنيه ديكـــارت، مبـادئ الفلسفة، ترجمة :عثمان أمين، طبعة القاهرة، .1960

9- رنيه ديكـــارت، مقال عن المنهج، ترجمة:محمود الخضيري،طبعة القاهرة،.1968

10- رنيه ديكـارت،مقالة الطريقة، ترجمة:جميل صليبا، دار النهضة العربية،.1985

11- سلامة موسـى، البلاغة العصرية واللغة العربية، مصر.1945

12- عاطف أحمـد، نقد العقل الوضعي(دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود)، تقديم إبراهيم فتحي،دار الطليعة،بيروت الطبعة الأولى 1980.

13-عبد الرحمن بدوي،مناهج البحث العلمي،دار المعارف،القاهرة،الطبعة الثانية،1985

14- عبد الرحمن مرحبا،المسألة الفلسفية، منشورات عويدات، الطبعة الأولى،.1961

15- عزمي إسلام، اتجـاهات في الفلسفة المعاصرة، وكالة المطبوعات، الكويت،الطبعة الأولى.

16- علي سامي النشار،مناهج البحث عند مفكري الإسلام،واكتشاف المنهج العلمي،دار النهضة العربية،بيروت،الطبعةالثالثة.1984

17- غازي عناية،منهجية البحث العلمي عند المسلمين ،دار البعث للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.1985

18- فيرز هايزنبرج، المشاكل الفلسفية للعلوم النووية،ترجمة:أحمد مستجير،الهيئة العامة المصرية للكتاب،.1973

19- كارل بوبر، عقم المذهب التاريخي،ترجمة: عبد الحميد صبرة.

20- لودفيج فتجنشتين،رسالة منطقية فلسفية،ترجمة عزمي إسلام، مكتبة الأنجلو المصرية.1968

21- مالك بن نبي، تأملات(مشكلات الحضارة)،دار الفكر،دمشق،الطبعة الخامسة1991

22- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة:عبد الصبور شاهين،دار الفكر،دمشق الطبعة الرابعة.
23- محمد ثابت الفندي،مع الفيلسوف،دار النهضة العربية،بيروت،الطبعة الأولى،1974
24- محمد، محمد ربيع، مناهج البحث في العلوم السياسية، مكتبة الفلاح،الكويت،الطبعة الثانية،.1978
25- محمد، محمد قاسم، مدخل إلى فلسفة العلوم، دار المعرفة الجامعية.
26- موي بول، المنطق وفلسفة العلوم، ترجمة: فؤاد زكريا، مراجعة محمود قاسم،طبعة القاهرة،الجزء الأول، .1961
27- مورتن وايت،عصر التحليل، فلاسفة القرن العشرين،ترجمة:أديب يوسف شيش، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق،.1975
28- هانز ريشنباخ، نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة: فؤاد زكريا،دار الكتاب العربي، القاهرة 1968.

- ب- بالأجنبيـــــــة:

1- Alfred.J.Ayer,Language Truth and Logic ,Pover publication
2-Carnap Rudolf ,The Logical Syntax of language ,London 19450.
3-David Hume, Traite de la Nature Humaine de l’entendement, Trad :de l’anglois par maisane David ,1930.
4-Victor Kraft, The Vienna Circle,Philosphical,New york,1953.

ثـــــالثًا: المعـــاجم والموسوعـــات الفلسفيـــة

أ- بالعربيـــــة:

1- إبراهيم بيومي مدكور،المعجم الفلسفي، صادر عن مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية .1979
2- زكي نجيب محمود، (إشراف) ،الموسوعة الفلسفية المختصرة،ترجمة:فؤاد كامل جلال العشري، دار القلم،بيروت.
3- عبد الرحمن بدوي، الموسوعة الفلسفية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء الثاني،1984.
4- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة، 1998.

ب- بالأجنبيـــــة

1-Runes,Dictionary of Philosophy, item method by benyamin , A.C.London .

رابعـــــًا: المقـــــــــالات

1- أحمد ماضي، الوضعية المنطقية والتحليل المنطقي في الفكر العربي المعاصر،مقـالة ضمن بحوث المؤتمر الفلسفي، العربي الأول ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت .1985
2- أديب نايف، دراساتنا الأكاديمية،ومولد الفلسفة العربية المعاصرة، مقالة ضمن بحوث المؤتمر الفلسفي الأول،مركز الوحدة العربية،بيروت،1985.
3- زكي نجيب محمود، ترجمة الماضي إلى حاضر،مجلة العربي، العدد219 ،1988.

الفهــــــــرس





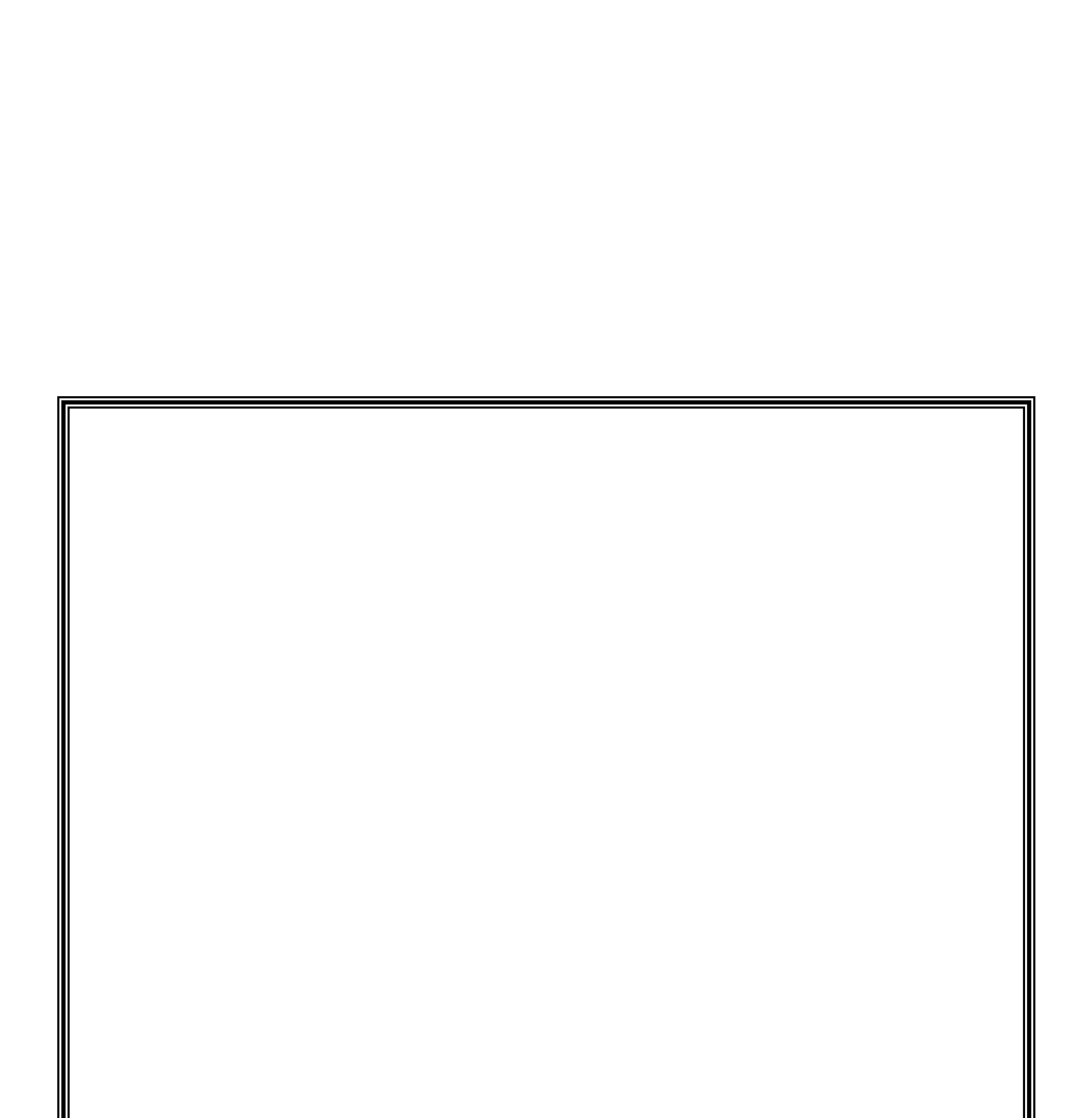
كـــــــــلمة شكـــــــر

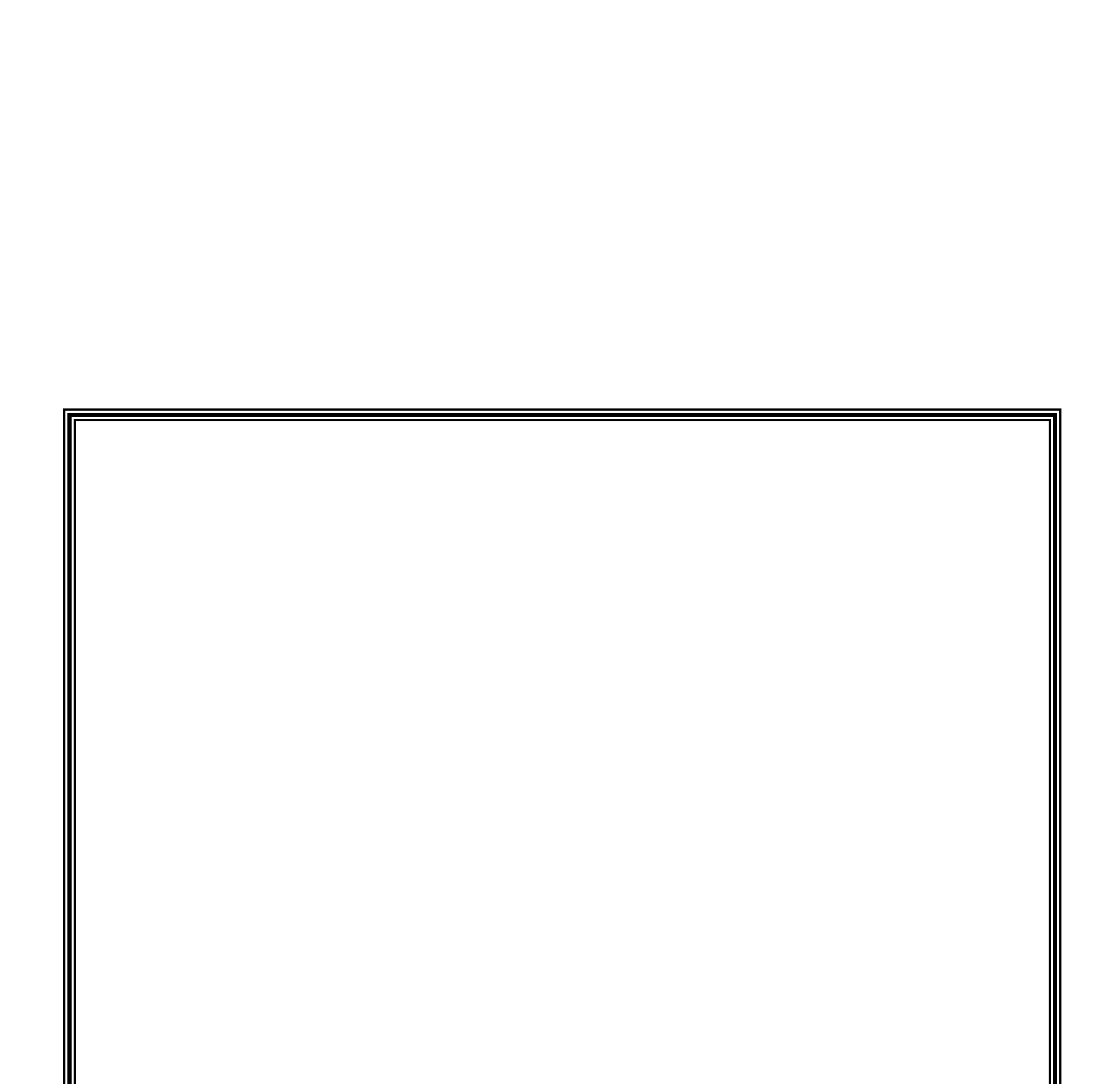
أتقـــــــدم بجزيـــل الشكـــر إلـــى كـــل من ســاعدني فـــي انجــاز بحثـــي هذا وأخــص بالـذكر الأستاذ المشـــرف الذي لــم يبخـــل علـــي طــوال مدة بحثـــي

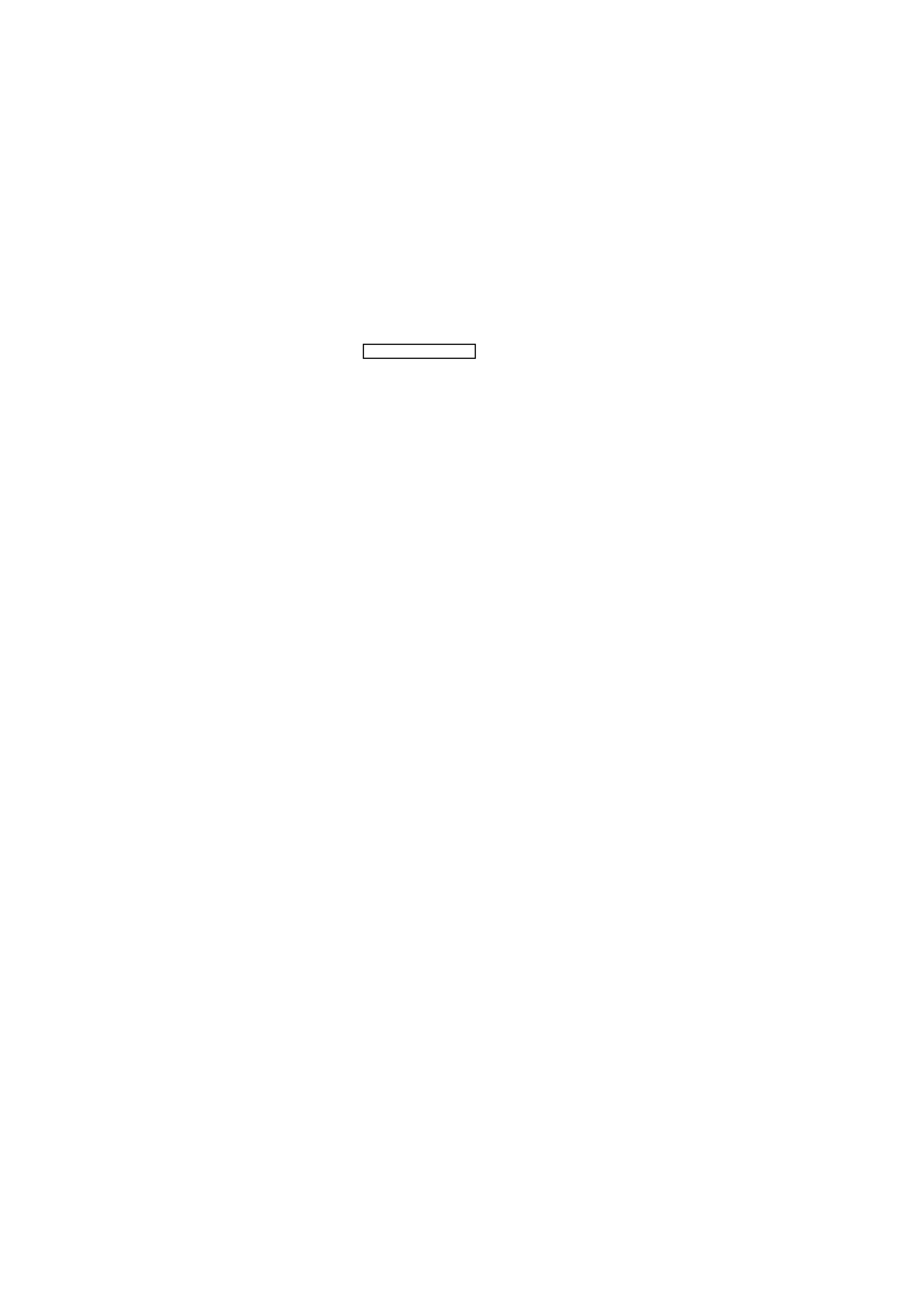
بنصــائحه و إرشاداته القيمـــــــــة التــــــــي أفــادتنـــي كثيـــرًا فـــي بحــثي هـــذا.

كـــــلمــة شكــر:

أتقـدم بجزيل الشكــر إلــى كـل من ســاعدني فـي بحثـي هـذا وأخـص بالذكـر الأستـاذ المشـرف الـذي لـم يبخـل علـي بالإرشـادات والنصـائح طـوال مدة بحثـي ، والتـي أفـادتنـي كثيـرا.

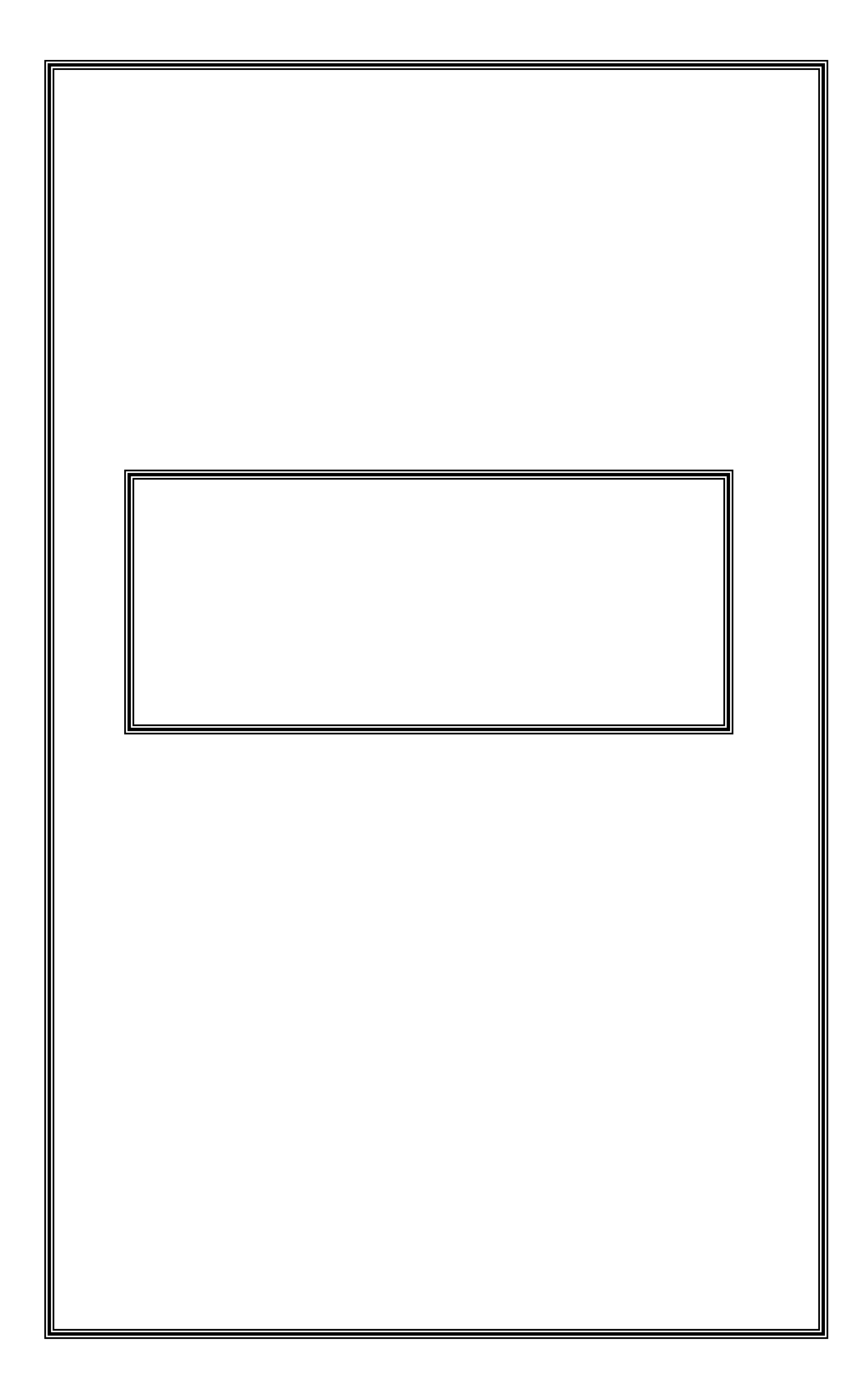


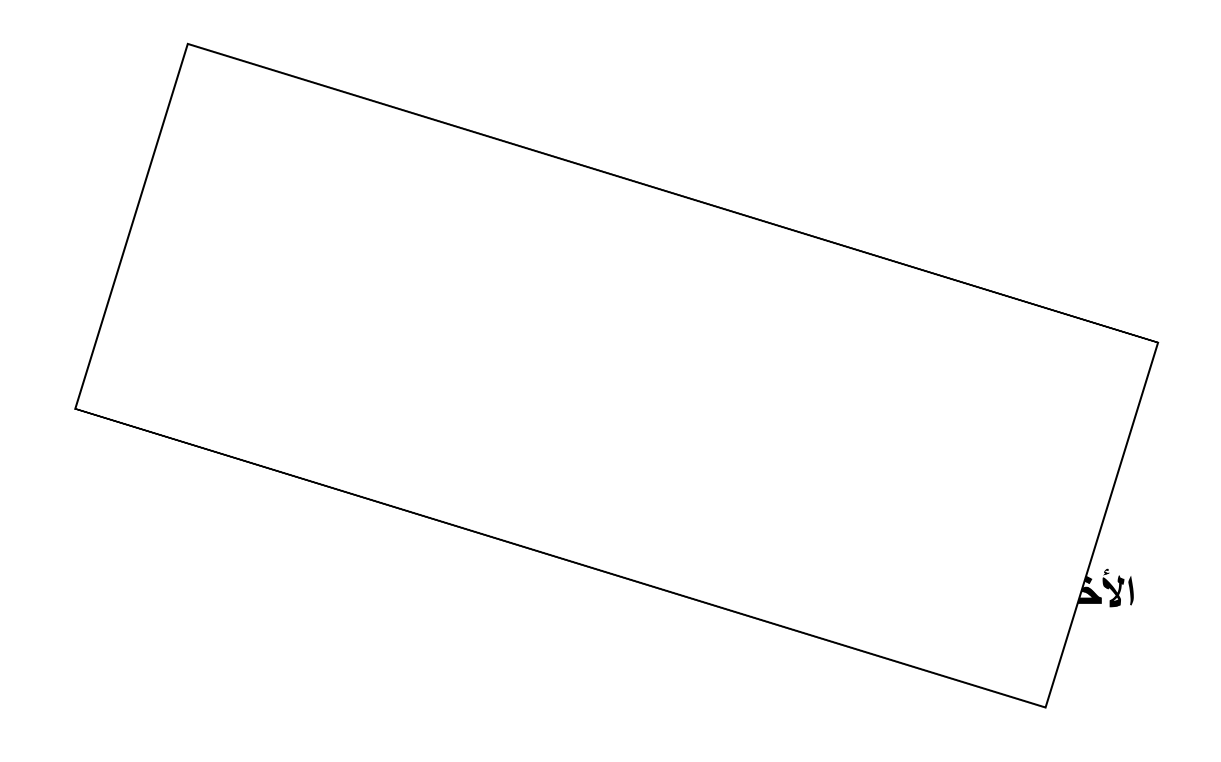






كليـــة العلوم الإنسانية والاجتمـــاعية
وزارة التعليـم العـــالي والبحث العلمي





الأ

السنــة الدراسيـة 2004- 2005

